الجذور

نشرة غير دورية تعنى بالذاكرة الشعبية

تشرين الأول

١٩٩٩

٧

مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية

ARAB RESOURCE CENTER
FOR POPULAR ARTS
Fax: (009611) 819970 - 307707
E-mail: arcpa@cyberia.net.lb
P.O.Box: 113/5719 Beirut, Lebanon
Tel: (01) 819970 - Cell: (03) 839917

في هذا العدد

- ملف: الحياة الثقافية في فلسطين عشية النكبة.
- حوارات:
  - يافا في ذاكرة الشاعر محمود الحوت.
  - أرشيف فلسطين السينمائي: قيس الزبيدي.
  - بحث في ذاكرة المكان: د. محمود عيسى.
- ملف الذاكرة الشعبية:
  - روايات شفوية وأغانٍ من فلسطين ١٩٤٨.
- مقالة: التاريخ الشفوي مشروع نضالي.
- معرض الصحفي الصغير.
- مراجعات كتب:
  - رواية باب الشمس
    الياس خوري
  - اللجوء في الداخل: اللاجئون الفلسطينيون ١٩٤٨ – ١٩٩٨
    د. عادل حسين يحيى

صخرة المبكى
أم عودة الأطفال

تبدى للكثيرين ممن عرضت عليهم صورة "الفتاة والصخرة" (الغلاف الأول) أن الصفيرة تبكي القدس .

ولكن الصغار لم يروا فيها إلا المحطة الأولى في لعبة "غميضة" . لعبة بحث وعودة .

ويبقى سر هذا المشهد وسحره بلغ علينا بالأسئلة . كيف اختارت الصبية قبة الصخرة من بين كل جدران المخيم لكي تكون صحم الأطفال . في ملعب ينتهي عندما يعودون إلى نقطة البدء وبلمسون القدس ؟ (الصورة على اليمين) .

وكيف التقط الصحفيون الصغار هذا الملعب الأسطوري من بين كل ما يحدث حولهم في المخيم ؟

في صورة "الكحل والقنديل" (الغلاف الأخير) أشعل الصحفيون الصغار قنديل الذاكرة عندما سألوا الكبار عن أعز الأشياء التي يحتفظون بها" . وكان أن أخرج العجوز قنديلا من فلسطين وأشعله لهم...

في عام ١٩٩٨ ، وبعد خمسين عاما من الاقتلاع ، عمد ٢٧ طفلا وطفلة (أعمارهم بين ١٠ و ١٤) مدة أسبوع في مخيماتهم في شاتيلا وبرج البراجنة ، أفرادا ومجموعات ، كصحفيين صغار ، على مواضيع تحمهم اختاروها بأنفسهم .

كانت آلة التصوير عيونهم ، والمسجلة آذانهم ، والدفتر ملاحظاتهم التي كثيرا ما كانت نقدية وساخرة . مثل تعليق عن اسلاك الكهرباء في المخيم يقول : "اسلاك متشابكة بعضها ببعض اكثر من تشابك العرب حول قضية فلسطين .

ومن الأمور ذات الدلالة أن كل مجموعات الصحفيين اختارت ، ومن دون تنسيق مسبق القيام بالبحث في ثلاثة مواضيع رئيسيه :

- فلسطين في ذاكرة الكبار .
- الإوضاع الحياتية في المخيم .
- أمنيات الأطفال .

أي أن الجيل الفلسطيني الرابع في الشتات وبعد خمسين عاما على نشرة أجدادهم معني بماضيه ، وحاضره ، ومستقبله .

وبعود الأطفال الفلسطينيون في لبنان الى القدس في أهابهم ، وتشعد أسئلتهم قنديل ذاكرة فلسطين .

ولكن السؤال الكبير الذي يطرحه مشهد الأطفال وقبة الصخرة هو : كيف نحافظ على أمل العودة ونحول دون أن تصبح الصخرة مبكانا ؟

معتز الدجاني

يفتتح **الصحفيون الصغار** معرضهم الدائم على صفحات هذا **الجنى**، لتدخل معهم عالم أطفال المخيم.

يتمنى الصحفيون إلى ثلاث جمعيات أهلية هي : **مؤسسة بيت أطفال الصمود، جمعية النجدة الاجتماعية، وجمعية المرأة الحرية.**

يشرف على هذا النشاط فريق عمل من
مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية / الجنى

المشرف المؤسس: معتز الدجاني
محرر عام: سهير الأزم

اخراج وتنفيذ فني: هشام كايد
رسوم: سعد حاجو
تدقيق لغوي: زينب ساق الله
تنضيد : رولا العلي

هيئة التحرير

حسني زينة | د. منذر جابر
د. روز ماري صايغ | د. لوري عيراني
زينب ساق الله | معتز الدجاني

نشكر الزميلة سهير الأزم على مشاركتها في تحرير العدد السادس من الجنى

يتقدم مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية / الجنى بالشكر من مؤسسة Radda Barnen لتمويلها إصدار هذا العدد من الجنى.

This issue of Al-Jana was supported by a generous contribution from Radda Barnen

حملة لتسجيل ذاكرة الشعب الفلسطيني قبل الاقتلاع

انطلاقاً من أهمية الجليل الاستراتيجية والجغرافية والدينية والعسكرية على امتداد هذا التاريخ، من ناحية، وبسبب الوجود الكثيف للفلسطينيين الذين لجأوا منه إلى لبنان في العام ١٩٤٨، من ناحية ثانية، أنهى **مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية** مشروع حملة طوارئ لتسجيل سير حياة وأحداث عاشها أصحابها في فلسطين قبل النكبة، وذلك بهدف حفظ الذاكرة الاجتماعية والثقافية لشعب فلسطين عموماً، ولسكان منطقة الجليل، خصوصاً.

I - مراحل العمل

شارك في المشروع ١٧ باحثاً وباحثة، توزّعوا على التجمعات الفلسطينية الرئيسية في لبنان. وأنجز المشروع على مرحلتين، في المرحلة الأولى تم تسجيل ٥٤ ساعة، تُرك الخيار فيها للرواة الذين فضّلوا الحديث عن فصول من حياتهم الشخصية. أمّا في المرحلة الثانية، فقد تم تسجيل ٩٢ ساعة لمهن متنوعة شكّلت مدخلاً للتعرف إلى جوانب مختلفة من حياة الشعب الفلسطيني وعلاقاته مع الجوار اللبناني، من خلال استمارات متخصصة كان يتم مناقشتها داخل اجتماعات الفريق، أعدها المشرف العلمي على المشروع د. منذر جابر.

II - نتائج المشروع

انتهى العمل في شباط/ فبراير ١٩٩٩، حيث تم تسجيل ١٠٥ مقابلات، توزّعت على ١٤٦ ساعة تسجيل، لرواة تراوحت أعمارهم بين ٧٠ و ١٠٠ عام.

ولقد تم تسجيل ثلاثين سيرة حياة وأكثر من خمسين مقابلة مع أصحاب مهن متنوعة.

ويبيّن الجدول الآتي النسبة المئوية لتوزّع بعض المهن، بحسب ساعات التسجيل:

المهنة	أستاذ مدرسة	بوليس	تاجر	حمّاط	راعي ماشية	فنان شعبي	مزارع
عدد الساعات	٨	١٥،٥	٨	٤،٣	٦،٥٠	١،٥٠	٥٣،٥٠
النسبة المئوية	٥،٥	١٠،٦	٥،٥	٣	٤،٣	١	٣٦

يرسم هذا الجدول صورة عامة لكنها دالّة على توزّع المهن في منطقة الجليل قبل العام ١٩٤٨، وباستثناء مهنة التدريس التي قمنا باختيار عينة أسمية لتمثيلها، وبالتالي لا يمكن اعتبارها عند التحليل كنسبة دالّة، يلاحظ في الجدول ارتفاع نسبة المزارعين إلى المهن الأخرى، وهو ما ينسجم مع الطبيعة الجغرافية والمناخية التي تجعل من الجليل مجتمعاً زراعياً بكل ما يميّز هذا المجتمع من قيم وعادات ومعتقدات برزت بوضوح أثناء المقابلات.

ورست إلى حد بعيد ملامح العلاقات داخل المجتمع نفسه، من جهة، وعلاقاته مع محيطه - الجوار اللبناني خصوصاً - الذي بدت فيه علاقات المصاهرة والتجارة والعمل جلية خلال المقابلات، وهو ما يفسر لجوء سكان الجليل الكثيف إلى لبنان، من جهة ثانية. وأخيراً يلاحظ في الجدول ارتفاع نسبة العاملين في المؤسسات البريطانية، وخصوصاً في البوليس الإنكليزي، الأمر الذي يرتبط بتاريخ الانتداب البريطاني على فلسطين، من ناحية، وسياسة الحكومة البريطانية التي فتحت أبوابها لتوظيف الفلسطينيين بهدف، من ضمن جملة أهداف، بتر علاقة الفلاح بأرضه تسهيلاً لاقتلاعه منها - وهي السياسة التي وضحت نتائجها في العام ١٩٤٨، من ناحية أخرى.

هذا وسيقوم المركز، بمساعدة باحثين مختصين، بإعداد دراسات عن مهن مختارة، يتم نشرها تباعاً في الأعداد القادمة من الجنى.

سهير الأزم

نشاطات النادي الثقافي العربي في الذكرى الخمسين

"فلسطين، نصف قرن من الاحتلال"

بمناسبة الذكرى الخمسين لاحتلال فلسطين، وإقامة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني دولته على أرضها، بادر **النادي الثقافي العربي** إلى تنظيم برنامج ثقافي موسّع ومتعدد الأبعاد لإلقاء الأضواء على مسيرة الصراع العربي الصهيوني. وكان الهدف من هذا البرنامج محاولة، في سياق عام، للخروج بفهمنا لهذا الصراع من إطار الشعارات، على مشروعيتها، الى الفهم الحقيقي الثقافي والحضاري له، على اعتبار ان الثقافة هي منبع الصمود الفلسطيني الشامل وهي الأساس الذي تستند إليه مقاومة هذا العدو على المدى الطويل. وقد يطول أمد هذه المقاومة لأكثر من جيل.

والجدير بالذكر أن النادي الثقافي العربي، منذ نشأته، اعتبر، ولا يزال، القضية الفلسطينية محور العمل العربي القومي العام، وان ساحة النضال من أجل استعادة الحق القومي في فلسطين هي ساحة الاستنفار والاستنهاض لقوى الأمة العربية للدفاع عن وجودها القومي وحريتها وحضارتها وتقاليدها ومقدساتها. ومن هذا المنطلق نظم النادي الثقافي العربي برنامجا تحت عنوان "**فلسطين، نصف قرن من الاحتلال**"، وجاء البرنامج على النحو التالي:

١ - محاضرة بعنوان **لماذا كل هذا الفشل؟** قدمها الأستاذ شفيق الحوت مساء ٨ أيار ١٩٩٨ في قاعة النادي، قيّم فيها نصف قرن من "الفشل العربي" العام في مواجهة "المشروع الصهيوني" ودعا إلى النهوض مجددا.

٢ - محاضرة بعنوان **قرن من الاستعمار الاستيطاني** قدمها الكاتب والصحافي المصري الأستاذ كامل زهيري مساء ١٥ أيار في نادي خريجي الجامعة الأميركية. حضرها عدد من المثقفين والصحفيين، وتضمنت استعراضا لتطور المشروع الصهيوني الاستعماري خلال قرن من الزمن، وارتباط هذا المشروع بالمشروع الاستعماري الغربي في المنطقة.

٣ - محاضرة بعنوان **نظرة الفكر الديني الإسلامي المعاصر إلى الحركة الصهيونية** قدمها د. رضوان السيد مساء ٢٢ أيار في قاعة النادي، وفيها عرض تاريخي شامل لموقف المفكرين الإسلاميين من الحركة الصهيونية منذ مطلع هذا القرن.

٤ - محاضرة بعنوان **نظرة الفكر القومي العربي إلى الحركة الصهيونية** قدمها الكاتب السوري الأستاذ أسامة الهندي مساء ٢٦ أيار ١٩٩٨ في قاعة النادي، عرض فيها "موقف القوميين العرب" الأقدمين والمعاصرين بفصائلهم كافة من المشروع الصهيوني من خلال عرض تاريخي شامل.

٥ - ندوة بعنوان **إسرائيل من الداخل سياسيا واجتماعيا** شارك فيها الأستاذان محمود سويد وأحمد خليفة، وذلك مساء ٥ حزيران ١٩٩٨ في قاعة النادي، قدّما فيها عرضا وتحليلا شاملا لنسيج المجتمع الإسرائيلي وأزماته، وللأحزاب السياسية الإسرائيلية الراهنة وما تمثله من تيارات سياسية ثقافية واجتماعية، ومواقفها تجاه عملية التسوية السياسية.

عمر فاضل
أمين سر النادي الثقافي العربي

"يا بلدنا ليش هجرتينا"

يترافق هذا العدد مع إصدار تربوي عن الاقتلاع الفلسطيني بعنوان: "**يا بلدنا ليش هجرتينا**" عن مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية (الجنى).

يتضمن هذا المورد حكاية أحمد ومريم، التي تروي أحداث الاقتلاع، كما عايشها الأطفال (جيل الاقتلاع الأول) وكما يحتوي على عشرين شهادة شفوية لشخصيات تطرح تجارب، قضايا، ومواقف.

هذا بالإضافة إلى جزء خاص يحكي فيه الفريق المشرف كيفية إعداد هذا المورد بما فيه من نصوص وأنشطة تربوية ورسومات.

ويعمل المركز على إنتاج شريط صوتي يسجل شهادات كبار السن وأغانيهم عن الاقتلاع. وشريط فيديو يصور نشاطات نموذجية مع الناشئة تحفزهم على القيام بأبحاث وتعبيرات ابداعية عن هذه التجربة.

فلسطين تكبر مع الأطفال

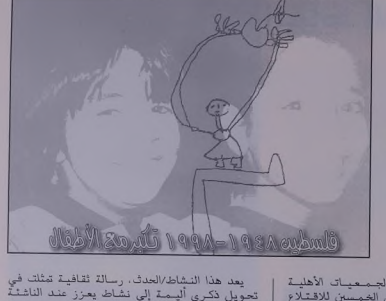

نظمت هيئة تنسيق الجمعيات الأهلية الفلسطيني في الذكرى الخمسين للاقتلاع الفلسطيني سلسلة من النشاطات الثقافية والعروض الفنية والمسيرات الشعبية في المناطق والتجمعات الفلسطينية كافة، ومن ضمنها برنامج فعاليات تحت عنوان "**فلسطين تكبر مع الأطفال**"، في الفترة ما بين ١٥-١٩ أيار ١٩٩٨، في مسرح المدينة في بيروت.

تميّز البرنامج بمشاركة الأطفال في مراحل الإعداد المختلفة، ولا سيما أنه موجه إليهم تحديدا، حيث تضمن مسرحيات للأطفال، عروض أفلام، مهرجانا للناشئة وأمسيات غنائية، ورقصا شعبيا.

أشرف على البرنامج لجنة الذكرى الخمسين المنبثقة من هيئة التنسيق، بمساعدة لجنة فنية مكونة من أصدقاء متطوعين ذوي خبرة، ساهموا في تنظيم المعارض ووضع برنامج مهرجان الأطفال الذي حمل عنوان "**يومنا مع فلسطين**". وفي تقديم المساعدة الإعلانية والتقنية الضرورية خلال الحفلات والعروض المختلفة.

سبق هذا البرنامج سلسلة انشطة، حيث قامت لجنة الذكرى الخمسين بالتعاون مع الاونروا بتنظيم مسابقات ثقافية وفنية وأدبية تحت عنوان "**حتى لا ننسى**" لتلاميذ الابتدائي والتكميلي، وكذلك نظمت مسابقة "ارسم كيف تتمنى أن تكون فلسطين".

جرت المسابقات على مستوى المدارس، ثم المناطق، وعلى مستوى لبنان. وتم توزيع الجوائز من دواوين شعر وقصص وميداليات وشهادات تقدير في حفل أقيم ضمن فعاليات برنامج مسرح المدينة، أحيته السيدة ريم كيلاني.

يعد هذا النشاط/الحدث، رسالة ثقافية تمثلت في تحويل ذكرى أليمة إلى نشاط يعزز عند الناشئة الثقة والأمل، وتمكنت من تقديم صورة حيوية لمجتمع مدني مبادر ومنفتح على محيطه العربي.

معتز الدجاني

مسرح بيروت: إيقاظ الذاكرة

شهدت معظم العواصم العربية نشاطا متعدد الوجوه خلال العام ١٩٩٨ انصبّ، في بعض جوانبه، على استعادة الذكرى الخمسين للنكبة. وكان من المتوقع أن يكون لمدينة بيروت شأن كبير في هذا المجال لامتلاكها منابر إعلامية مستقلة ومتعددة الاتجاهات. ومع أن وسائل الإعلام، ولا سيما محطات التلفزة والصحف اليومية لم تقصر البتة في مواكبة هذه الذكرى، إلا أن المنتديات الثقافية والأحزاب اللبنانية كان نشاطها متدنيا جدا، لكي الغريب، حقا، حال الركود والركود عند الفصائل الفلسطينية التي لم تتمكن، باستثناء بعض الومضات هنا وهناك، من تقديم أي إسهام جدي في مثل هذه المناسبة المهمة.

خصص مسرح بيروت موسمه الثقافي للعام ١٩٩٨ لذكرى النكبة، وبادر إلى القيام بسلسلة من النشاطات تحت عنوان "٥٠ ... نكبة ومقاومة" امتدت على ثلاثة شهور هي نيسان وأيار وحزيران ١٩٩٨، وكان الاستعداد لهذا الموسم بدأ قبل نحو ستة أشهر. وتألفت لهذه الغاية لجنة مصغرة ضمّت كلا من: إلياس خوري وفواز طرابلسي وسمير قصير ومحمود سويد ورشا السلطي وجاد ثابت. وشارك في بعض اجتماعاتها عدد من الكتاب والصحافيين والمؤازرين والناشطين أمثال: نجاح واكيم ومارسيل خليفة وصقر أبو فخر وزياد ماجد وسهيل الناطور وحسين أبو النمل وسامية عيسى وصلاح صلاح وغيرهم.

النشاط في سطور

تضمن الموسم الثقافي عرض خمس مسرحيات ونحو ٥٠ فيلما فلسطينيا وعربيا وعالميا، وأمسيات غنائية لمرسيل خليفة، وأمسيات شعرية لأدونيس وسعدي يوسف وعباس بيضون وشوقي بزيع وإيتيل عدنان، وحلقتين دراسيتين **الأولى** بعنوان: **صورة الذات/ صورة الآخر، والثانية** بعنوان **مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي**. فضلا عن سلسلة محاضرات شارك فيها مجموعة من كبار المفكرين العرب والأجانب أمثال: فلسطنين زريق وجابر عصفور وإقبال أحمد وباريك رولو وحبيب صادق وأنيس صايغ. وآخرون. وقد تميزت مسرحية **البيت**، التي أنجزتها السيدة نجلا جريصاتي خوري، ومثلت الدور الرئيسي فيها عبلة خوري، بجمالية وشفافية جعلتها محط إقبال الصغار والكبار معا. واللافت أن نخبة من المفكرين والأدباء والكتاب والصحافيين من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر واكبت هذا الموسم إما بالحضور وإما بالمشاركة. كان بينها عبد الرحمن منيف وشفيق الحوت وفيصل درّاج ورضوى عاشور.

ألف شمعة وألف وردة

تمكنت اللجنة المصغرة، بمساعدة لفيف من الأفراد والهيئات، وبعد تحضير متواصل ودؤوب وتذليل للمصاعب الجمّة، من القيام بمسيرة شموع إلى مقبرة صبرا وشاتيلا في التاسع من نيسان ١٩٩٨، أي في الذكرى الخمسين لمجزرة دير ياسين. وكانت أولى المصاعب الوضع المزري للمقبرة؛ فهي تحولت، بالإهمال المتراكم، إلى مكبّ للنفايات، وبات مدخلها مقفلا بعربات بائعي الخضروات. فضلا عن أن العقار مملوك ملكية خاصة. وثانية تلك المصاعب هي حملات التشكيك الغبية التي طاولت منظمي هذا الموسم، واستكناف معظم الفصائل الفلسطينية عن المشاركة في هذه المسيرة.

مهما يكن الأمر، فقد أمكن تذليل العقبات كلها بالتدريج. فجرى فتح المدخل الرئيسي للمقبرة وإزالة عربات الخضر، وباشرت شركة "سوكلين" بمواكبة الدرك، إزالة النفايات المتراكمة. وفتحت مدرسة الهدى الثانوية القريبة من المقبرة أبوابها كي يتجمع فيها المشاركون في المسيرة، مع العلم أن المدرسة كانت في إجازة عيد الأضحى. وفي باحة المدرسة احتشد أكثر من ١٥٠٠ شخص في مشهد فاق التوقع، وكانت غالبية الجمهور من الشخصيات اللبنانية البارزة وبعض الشخصيات الفلسطينية، وجرى توزيع ألف زهرة تبرعت بها السيدة نجاح

طاهر. وألف شمعة أضيئت تخليدا لشهداء مجزرة صبرا وشاتيلا. وسارت الجموع صامتة إلى المقبرة، حيث أنشد مارسيل خليفة "نشيد الموتى". ثم وضعت الزهور والشموع في المكان في مشهد مهيب. ولوحظ أن بعض الفصائل انتدبت إلى هذه المسيرة مندوبين فقط، في حين لم يشارك تحالف القوى الفلسطينية فيها قط. وفي ما بعد، في أيلول ١٩٩٨، عندما دعا التحالف بالاشتراك مع الكتاب الفلسطينيين إلى مسيرة نحو هذه المقبرة لم يحضرها أحد ولم يتمكن من حشد أكثر من خمسين شخصا، علما أن المنظمة الفلسطينية لحقّ الإنسان، وهي منظمة صغيرة وليدة، تمكنت من حشد نحو ٤٠٠ شخص عندما أحيت هذه الذكرى. وهذا يدل على الهامشية التي أصابت بعض القوى الفلسطينية، وعلى الهشاشة الواضحة في خطابها السياسي.

يهود ضد الصهيونية... وعرب ضد هؤلاء

ضمن فاعليات الموسم الثقافي كانت ثمة حلقة دراسية بعنوان صورة الذات/ صورة الآخر. وكان من المتوقع أن يشارك فيها، فضلا عن بعض المفكرين العرب، أربعة من المثقفين اليهود العرب المعادين للصهيونية هم: إبراهيم السرفاتي وادمون عمران المليح (المغرب) وجاك حسون (مصر) وسليم نصيب (لبنان).

أطلقت هذه الندوة عقال التعصب لدى بعض القوى التي لا وزن لها والتي هالها النجاح الرائع لمسيرة الشموع، ما ولد لديها إحساسا بالصغار والهوان والبطالة السياسية، مما دفعها لشن حملة عنيفة ضد "الندوة ـ المؤامرة" ومنظميها. الأمر الذي أثار استهجان الكتاب والأدباء العرب الذين دعشوا لهذا التعصب إزاء أربعة من العرب المناضلين المعادين للصهيونية وان تحدروا من جذور يهودية، وقاموا بالرد في غير مجلة وصحيفة. وما كان من نتيجة هذه الحملة إلا أن أعلن مسرح بيروت "بكل أسف وخجل" ان اليهود العرب المشاركين في ندوة **صورة الذات/ صورة الآخر** لن يتمكنوا من الحضور إلى بيروت لأن لا أحد يتحمل مسؤولية حمايتهم من الغوغاء وكائنات الكهوف، الذين شنوا حملة افتراء منظمة. لكن الندوة تابعت أعمالها وقرأت أوراق المشاركين الغائبين نيابة عنهم.

ولنعلم، فان **إبراهيم السرفاتي** هو كاتب ومناضل مغربي أمضى أكثر من خمسة عشر عاما في السجون المغربية، وكانت إحدى التهم الموجهة إليه الانتماء إلى حركة فتح، وهو يعيش اليوم في فرنسا لاجئا سياسيا.

أما **إدمون عمران المليح** فهو واحد من أهم الروائيين المغاربة، كرس أعماله الأدبية لقضية اندماج اليهود مع العرب في مجتمعاتهم العربية ورفض تهجيرهم إلى فلسطين.

وتتميز مقالات **جاك حسّون**، المحلل النفسي المصري الذي يعيش في باريس، بالحنين الدائم إلى مصر ورفض المشروع الصهيوني، ونشر عددا من مقالاته في مجلة **الدراسات الفلسطينية** التي تصدر باللغة بالفرنسية.

أما **سليم نصيب** اللبناني، فهو واحد من الصحافيين اللامعين، لا ينفك يكتب قصصا وروايات تصور حبه لبيروت وعشقه لأم كلثوم.

مهما يكن الأمر، فان الموسم الثقافي لمسرح بيروت نجح نجاحا باهرا في غير محطة. وربما كان التفرد الذي حظي به هذا النشاط عائدا، جزئيا، إلى الخدر والنعاس اللذين اتسمت بهما بعض الفعاليات الفلسطينية تحديدا، على المستويين الثقافي والسياسي.

صقر أبو فخر

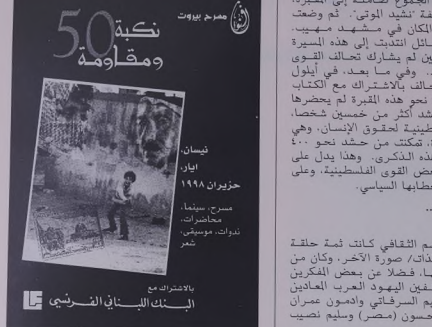

"ألم اللجوء ... أمل العودة"

في المخيمات الفلسطينية في سوريا

إذا كان شعار "٥٠ ... نكبة ومقاومة"، الذي رفعته اللجنة المنظمة لفعاليات الذكرى الخمسين للنكبة، يحمل في طياته معنى محدداً أرادت اللجنة تأكيده، فإن شعار "ألم اللجوء.. أمل العودة" الذي رفعته اللجنة المنظمة لفعاليات المنتدى الديمقراطي الفلسطيني في سوريا، أراد أن يؤكد معنى مقارباً، أو مساوياً، والملاحظ في الشعارين أنهما لا يقران بفكرة الاستسلام للأمر الواقع. وكأنه قدرٌ لا مفر منه. إذ على الرغم من مرور خمسين عاماً على النكبة، وعلى الرغم من النكبات المتتالية التي تبعتها، فإن ثمة مقاومة امتدت على مساحة هذا الزمن، أخذت أشكالاً مختلفة، ومرت بحالات متنوعة. صحيح أنها لم تحقق الانتصارات المطلوبة، لكن الصحيح أيضاً أنها لم تتوقف عند الألم والاستمرار، على الرغم من كل محاولات القمع والتطويع والاحتواء والتفريغ الذي واجهته على مدار الأعوام الخمسين الماضية.

ربما، من الصعوبة بمكان، تغطية الفعاليات الثقافية السياسية والجماهيرية كافة التي أقيمت في سوريا في هذه الذكرى، لأنها امتدت وتوزعت على شكل ندوات سياسية وفكرية، ولقاءات جماهيرية، ومسيرات شعبية، وأمسيات أدبية، وتحقيقات صحفية، وشهادات شخصية متنوعة...

وإذا كان الأسبوع الثقافي، الذي أقامه **اتحاد الكتاب العرب** في سوريا، عبر تنظيمه سلسلة من الندوات الفكرية (التي ركزت على مسألة الإرهاب) في جميع المحافظات السورية، بمشاركة اتحاد الكتاب اللبنانيين، هو النشاط الأبرز على الصعيد السوري، فالفعاليات التي شهدها مخيم اليرموك، كانت الأبرز على الصعيد الفلسطيني مقارنة ببقية النشاطات التي شهدتها المخيمات الفلسطينية الأخرى في سوريا، لكون "اليرموك" التجمع الرئيسي للفلسطينيين هناك، حيث يضم المقرّ الرئيسية للفصائل الفلسطينية، والمؤسسات والأندية الثقافية التابعة لها.

سنبدأ بفعاليات **المنتدى الديمقراطي الفلسطيني**، لأنها الأبرز بين الفعاليات الثقافية الفلسطينية، وباستعراض سريع لعناوين المحاضرات والندوات التي أقامها هذا المنتدى يمكننا أن نتلمس ذلك. فمثلاً، بدأت الفعاليات بمحاضرة الأستاذ الجامعي الفلسطيني الإذاعي الأستاذ محمد توفيق البيجرمي، تناولت **صورة العربي في الآداب الغربية**، أبرز خلالها كيف يفتح الغرب نوافذه على الشرق، وكيف يؤخر. ويعلق صورة العربي على جدران مجتمعه الداخلية. وقد تناول المحاضر مواقف عدد من الكتاب الغربيين الذين يقدمون صورة سلبية للعربي في كتاباتهم كـ أنطوني ترولوب و كرومر في كتابه **مصر الحديثة**، الصادر عام ١٩٠٨، وكتابات وارين برتون **الهلال الخصيب، والحج إلى المدينة ومكة**، وكتابات بولفريف **رحلة إلى شرق ووسط الجزيرة العربية**، ...الخ.

المحاضرة الثانية، كانت للمؤرخ الدكتور أحمد داوود عن **الرواية التاريخية للتوراة**، فند فيها الكثير من المغالطات التاريخية في الرواية التاريخية العبرية.

وفي إحدى الندوات، تحدث كل من الدكتور أحمد برقاوي وسعيد عبد الهادي عن **الصهيونية، وما بعد الصهيونية** وقد تركز الحديث على الأشكال التي تتبعها الصهيونية لتجديد نفسها.

وفي ندوة أخرى تحدث الدكتور يوسف سلامة بشكل مكثف ومعمق عن **تأثير المكان الوجودي على الإنسان عموماً. وتأثير الشتات على الإنسان الفلسطيني خصوصاً**

وألقى الدكتور يوسف حطّيني محاضرة مهمة في ندوة **تجليات النكبة في الأدب الفلسطيني**، استعرض فيها الكتابة الروائية الفلسطينية منذ الثلاثينيات وحتى الآن، راصداً أهم الأسماء والتحولات السياسية والوطنية التي حكمت النتاج الروائي الفلسطيني، وطبعته بطابع محدد يتحدث عن "صورة الوطن" و"صورة المنفى"، وكيف ابتكرت النكبة - بطلاً سوبرمان للرواية الفلسطينية". وختم بالقول: إن الأمل يتطور الرواية الفلسطينية لا يزال معقوداً على روائيين كثيرين في الجيل الجديد، مثل ابراهيم نصر الله، وجمال ناجي. إذ ما ينفك هؤلاء يقدمون روايات فيها كثير من التفرد والإبداع.

المقاربة الأخرى في هذه الندوة كانت للناقد والروائي نبيل سليمان، الذي تناول **أسئلة العودة**، تحدث نبيل سليمان عن النتاج الأدبي للعائدين إلى الداخل الفلسطيني من الأدباء الفلسطينيين، وتجاربهم في التماس المباشر مع الواقع والمكان الفلسطيني؛ وحاول أن يلتقط المفارقات التي رصدتها هذه الكتابات من خلال التضاد بين الحلم والواقع.

أخذت قضية اللاجئين حيزاً آخر في ندوة تحت عنوان **الأونروا.. وظيفة أو غاية إنسانية؟** تحدث فيها الأستاذ سهيل الناظور، والباحث سليمان الدباغ. وتناول البحث أيضاً سيناريوهات التوطين، أو التعويض، ودور الأونروا التراجع في إعادة تأهيل وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في ضوء المناقشات الواسعة حول مسألة اللاجئين وحق العودة.

في إطار الإبداع الأدبي، أقيمت أمسيتان، الأولى شعرية، شارك فيها الشعراء ماهر رجا، وخليل خليل (أبو سلمى)؛ والثانية قصصية شارك فيها كل من سلوى الرفاعي، وعلي الكردي، وصادق أبو حامد، وعلى هامش هذه الفعاليات أقيم معرض للفن التشكيلي، شارك فيه عدد من الفنانين الفلسطينيين والعرب.

شارك **منتدى غسان كنفاني الثقافي**، بفعاليات الذكرى الخمسين للنكبة تحت شعار **نحو ثقافة وطنية ديمقراطية فاعلة**، وأقام العديد من الندوات السياسية والفكرية، تذكر منها، ندوة حول **علاقة الذات بالآخر الغربي**، وتأثيرها على الصراع مع الصهيونية، شارك فيها الباحث نصر الشمالي، الذي ركز على دور المركزية الأوروبية، وأعاد إلى الأذهان - خلافاً لما هو شائع - أن الإشارة الأولى المحددة إلى إقامة كيان صهيوني يهودي على الأرض العربية في فلسطين المحتلة لم تكن تلك التي صدرت عن نابليون بونابرت عام ١٩٩٨، وإنما هي تلك التي صدرت عن لندن عام ١٦٤٩، بينما تحدث الدكتور أحمد برقاوي، في المحاضرة الأخرى، عن الراهن في الصراع الفلسطيني والعربي والصهيوني.

أيضاً، وفي إطار فعاليات **منتدى غسان كنفاني**، أقيمت ندوة حول **القضية الفلسطينية والسينما العربية**، شارك فيها كل من المخرج محمد ملص، والمخرج قيس الزبيدي والفنان بسام كوسا. وقد كشف المخرج قيس الزبيدي في هذه الندوة النقاب عن مشروعه "**تأسيس أرشيف سينمائي وطني فلسطيني**" كي يسهل علينا إعادة قراءة التاريخ البصري للشعب الفلسطيني في ضوء الوثيقة المرئية.

كما أقيمت أمسيتان ثقافيتان للشعراء الشباب شارك فيها الشعراء: يحيى القهوجي، ومحمد أبو عيشة، ومهند محسن أبو سلمى، وياسر أبو يونس، وخلود أبو عاصي، وغسان أبو جبل، وعماد موعد، وأكرم إبراهيم، وزهير الحسن.

من جهة أخرى، أقيمت نشاطات جماهيرية عديدة، أبرزها، اعتصام جماهيري في مقر الأمم المتحدة الكائن في شارع أبو رمانة بدمشق، يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٨/٥/١٣؛ والمسيرة الجماهيرية الحاشدة في مخيم اليرموك، يوم الخميس الموافق ١٩٩٨/٥/١٤، تقدم الموكب علم فلسطين الكبير والمميز، ونعش مثّل إتفاق أوسلو، كما غصّت المسيرة بالرايات السوداء، وأعلام فلسطين، وعشرات الشعارات واليافطات التي تندد بالاحتلال والاستيطان ومصادرة الأراضي؛ وقد ركزت الشعارات على رفض التوطين والتهجير، وطالبت بحق العودة وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

أكد زخم هذه المسيرة الجماهيرية الحاشدة، مرة أخرى، حيوية الشعب الفلسطيني وتمسّكه بترابه الوطني وقدرته على التجدد والعطاء رغم تراكم حالات الإحباط التي يعانيها على غير صعيد.

وقامت الفصائل الفلسطينية بمسيرة صامتة إلى مقابر الشهداء، حيث قرئت الفاتحة ووضع إكليل من الزهور على ضريح الفدائي المجهول".

من الواضح أن تفاعل الجمهور الفلسطيني مع الندوات السياسية والفكرية لم يكن في مستوى الطموح المعقود عليه، فأولاً كان عدد الحضور متواضعاً مقارنة بأهمية الحدث ووزن المحاضرين المشاركين وأهمية العناوين المطروحة. لكن الالفت أن عدد الحضور في الأمسيات الأدبية كان أكبر كثيراً من الحضور في المحاضرات والندوات الأخرى، فهل هذا يشكل مؤشرا ما لسيكولوجية الجمعية، والمزاج العام؟!

لعل تراكم الإحباط يدفع أبناء شعبنا إلى حالة من الرفض السلبي للخطاب السياسي والفكري السائد، وهذا ما أكدته المشاركة الكبيرة والفاعلة لهذه الجماهير في المسيرة الحاشدة في ذكرى يوم النكبة، إذ من الملاحظ أن جماهيرنا تتوق إلى الفعل أكثر كثيراً من توقها إلى الكلمة. لكن الحالة الأرقى بالتأكيد هي الانسجام بين الكلمة والفعل .. بين الشعار والممارسة.

أعدّ التقرير : علي الكردي/
دمشق

المرأة الفلسطينية والذاكرة

لماذا أهمل التاريخ المدوّن تسجيل مشاركة النساء في النضال؟ لماذا اهتم بروايات الرجل وأهمل روايات المرأة؟ هل يتفوق الرجل على المرأة في القدرة على القص؟ هل يحتفظ الرجل وحده بكنوز المعرفة؟!

هناك هوّة كبيرة يسجلها المؤرخون ما بين التاريخ الغني لمشاركة النساء الفلسطينيات في نضال الشعب الفلسطيني عموماً، وبين تسجيل هذا التاريخ.

لقد جاء ذلك الإهمال لروايات المرأة ضمن إهمال التاريخ المدوّن للتاريخ الأثني ـ تاريخ الجماعات المستثناة من المعرفة، من الثقافة العالية ومن السلطة. كما تعرض تاريخ النساء الفلسطينيات للضياع والتشويه بمرور الوقت وأهمل كثيراً. وقد آن الأوان لأن نعود إلى روايات المرأة وتجاربها ونوثقها إلى جانب اهتمامنا بتوثيق روايات الرجل وتجاربه؛ وأن نقف أمام التاريخ الشفوي للمرأة الفلسطينية ونبرز دورها في العديد من المجالات وخصوصاً في ما أهمله التاريخ المدوّن، حتى تكتمل الصورة التاريخية وتعود الأمور إلى نصابها.

ورشة عمل

بهدف إتاحة المجال أمام المرأة لممارسة حقها في التعبير عن نفسها وعن رؤيتها للأحداث التي عايشتها وشاركت في صنعها، و بلسانها هي لا نقلاً عنها.. عقدت في القاهرة في نيسان/ ابريل ١٩٨٨، ورشة عمل بعنوان "التاريخ الشفوي السياسي للمرأة الفلسطينية".

في الجانب النظري أكد برنامج الورشة أهمية التأريخ الشفوي عموماً، وصعوبته بالنسبة إلى المؤرخ الفلسطيني، خصوصاً، الذي لا يتوفر له ما لدى المؤرخين الآخرين من مراكز بحث وأرشيفات متكاملة وإمكانات تقنية عالية؛ كما ركز هذا البرنامج على العلاقة ما بين التاريخ الشفوي من جهة، وبين السينما التسجيلية (عرب لطفي) والمأثورات الشعبية (د. أحمد مرسي) والأدبيات النسوية (د. هدى الصدة)، من جهة ثانية.

ولقد خصصت نصف أوقات الورشة للتدريب العملي على تقنيات إجراء المقابلة والحصول على المعلومات (د. عادل يحيى). كما ناقش المشاركون خطة المشروع وآليات تنفيذه، مع مراعاة خصوصية المناطق موضوع الدراسة، بهدف الوصول إلى تصور معين للتعامل مع المشكلات التي يمكن أن تصادف الباحثات في الميدان.

الحقبة التاريخية المدروسة

تؤرخ الدراسة /البحث لتاريخ عمل المرأة السياسي ومشاركتها في الأحداث السياسية منذ الثلاثينات حتى أواسط الستينات ـ تاريخ قيام الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية وانطلاق العمل الفدائي المسلح؛ حيث تقف عند أربع محطات مهمّة في التاريخ السياسي الفلسطيني: ١٩٣٦، ١٩٤٨، الخمسينات وأوائل الستينات. وتحاول الدراسة أن تتبيّن من خلال التاريخ الشفوي أسباب تغييب المرأة عن الأحداث السياسية المكتوبة في فترات سياسية مختلفة، وعلاقة هذا التغييب بالتطورات الاجتماعية خلال الفترة التاريخية المدروسة. ولهذا الغرض تمّ اختيار عيّنة تمثيلية من ١٢٠ امرأة ينتمين إلى فئات عمرية مختلفة تغطي مراحل البحث كافة.

مراحل الدراسة

تنقسم الدراسة إلى أربع مراحل :

- قراءة نقدية دقيقة للدراسات السابقة للتعرّف إلى أوجه النقص الموجودة والتركيز عليها؛
- التحضير للعمل الميداني؛
- تحديد العيّنة التمثيلية؛
- تجميع المادة وأرشفتها، تحليل النتائج، وكتابة التقرير النهائي للبحث.

شملت المناطق المحددة للدراسة، فلسطين الخط الأخضر، الضفة الغربية، قطاع غزة، الأردن، لبنان، سوريا، ومصر.

ولقد صدر مؤخرا كتاب يضم بين دفتيه أوراق ورشة العمل التي عقدت في القاهرة، بهدف اشراك القراء في الحوار والتفكير الدائر، وتقبل ما يطرحه الموضوع من أفكار قابلة للنقاش وأسئلة مفتوحة لتوسيع دائرة الحوار. الكتاب من إعداد وتحرير؛ الدكتورة فيحاء عبد الهادي.

س أ

محمود الحوت
و
حديث الذكريات

محمود سليم الحوت، هو واحد من عشرات، بل مئات، الشخصيات الفلسطينية التي مارست في فترة ما قبل النكبة، وما بعدها، نشاطاً عاماً متميزاً في كثير من الحقول. وقد ارتأت "الجنى" أن جمع الذكريات الشخصية والعامة لهؤلاء، ترسم في تكاملها ملامح صورة الحيوية الثقافية والحضارية لعرب فلسطين.

وقد وقع الاختيار على الأستاذ محمود الحوت لأنه ـ كما سيتبين من حديث ذكرياته ـ كان من جيل شباب فلسطين الذين تابعوا دراساتهم الجامعية في بيروت في عقد الثلاثينيات، ومارس كتابة الشعر الوطني ونشره في كبريات صحف فلسطين قبل النكبة؛ ثم عمل مفتشاً للغة العربية في دائرة المعارف أثناء سلطة الانتداب البريطاني.

وكان يفترض عقد لقاءات أخرى مع الأستاذ محمود الحوت، ليروي لنا ذكرياته عن نشاطه العام بعد النكبة، غير أن المنية سبقتنا إليه يوم الأحد بتاريخ ١٩٨٨/٩/٦.

رحم الله الأستاذ محمود الحوت.

الياس سحاب: أستاذ محمود، أنت ممن بدأوا ممارسة حياتهم العامة قبل النكبة، في الأدب والتدريس والعمل العام في يافا، هل يمكن أن تستعرض لنا تلك الوشائج الحميمة بين حياتك الخاصة، والحياة العامة في فلسطين قبل النكبة، وبالذات في مدينة يافا؟

محمود الحوت: أنا كنت من محركي الحياة الأدبية في تلك الأيام، ولدي قصائد كثيرة تؤكد ذلك.

الياس سحاب: لنبدأ بالولادة، في أي سنة كانت؟

محمود الحوت: أنا من مواليد ١٩١٧، ولكني بدأت الانخراط في الحياة العامة قبل أن أبلغ العشرين.

الياس سحاب: معنى ذلك انك بدأت في النصف الأول من عقد الثلاثينيات؟

محمود الحوت: صحيح. وكانت قصائدي الوطنية منذ البداية تنتشر بين المجاهدين في الجبال. وقد اضطررت، لصغر سني ولانتقاء ملاحقة السلطات

كنت من محركي الحياة الأدبية
قبل النكبة، وقصائدي الوطنية كانت تنتشر
بين المجاهدين في الجبال

البريطانية أن أنشر معظم قصائدي الوطنية بأسماء مستعارة، ولم أتزم اسما مستعارا واحدا. بل كنت أذيل قصائدي بأسماء عديدة: ربيع - بحري. م.ح. مع ذلك كان الكثيرون يعرفون صاحب هذه القصائد، حتى إن عزمي النشاشيبي، أحد القائمقامين، اتصل بأبي وقال له: ليث محمود يخفف من حماسه، لأن عيون السلطة مفتوحة عليه. وفعلا نقل لي أبي هذه الرسالة التحذيرية، وكان ذلك في بداية الأربعينيات.

الياس سحاب: هل كنت تلجأ إلى الأسماء المستعارة دائما، أم في بعض الأحيان فقط؟

محمود الحوت: كلا، غالبا ما كنت أستخدم الأسماء المستعارة، لان اسمي الحقيقي كان معروفا.

معتز الدجاني: هل كانت كتاباتك الوطنية تقتصر على الشعر فقط؟

محمود الحوت: نعم، لقد كانت شعرا.

الياس سحاب: وأين كانت تنشر هذه القصائد؟

محمود الحوت: معظمها في جريدة **فلسطين**، والباقي في الصحف الأخرى.

الياس سحاب: في **الجامعة الإسلامية** مثلا؟

محمود الحوت: **فلسطين** بالدرجة الأولى، ثم جريدة **الدفاع** بالدرجة الثانية، وقليل جدا في الصحف الأخرى. وقد أرسلت مرة قصيدة ثورية ملتهبة وطويلة لجريدة **الدفاع**، وكان **إبراهيم الشنطي** صاحب الجريدة معتقلا في **صرفند**، فأرسلوا له القصيدة إلى المعتقل تهريبا، حتى يتسلى بها في أوقات فراغه، ورغم حرج موقفه، أمر بنشرها وقال لهم: "انشروها كاملة، حتى لو أدى ذلك إلى إغلاق الجريدة". فما كان مني إلا أن جاريته في الحماس، ووقعت القصيدة باسمي الصريح محمود الحوت، ولكني اختفيت من يافا، وانتقلت سرا إلى الجدل، على طريق غزة، قرب عسقلان، بعد ذلك انتقلت بالقطار إلى **حيفا**، ومنها إلى **بيروت**، حيث مكثت قليلا من الوقت، ثم سافرت إلى العراق. وكان ذلك سنة ١٩٣٨.

الياس سحاب: معنى ذلك، أن هذه القصيدة نشرت في خضم الثورة الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩. هل تذكر عنوان هذه القصيدة، ومطلعها؟

محمود الحوت: لا، لا أذكر. ومع ذلك، فقد مدحت مرة قاضي القضاة البريطاني في فلسطين، وآثار ذلك استغرابا لدى الناس، ولكن دعني أروي لك القصة، لما فيها من غرابة:

فقد صدر أمر بأن يدفع أهالي غزة ضريبة جماعية ترتفع إلى آلاف الجنيهات الفلسطينية، وكان المندوب السامي هو الذي أمر بهذه الغرامة. فعمد الأهالي إلى رفع قضية ضد المندوب السامي، وكان طبيعيا أن يكون القرار بيد قاضي القضاة، وكان اسمه مايكل مكدونالد، فأصدر حكمه بإلغاء قرار الغرامة. عمدت فورا إلى كتابة قصيدة في مديحه عنوانها "إلى السير ميخائيل مكدونالد" أقول فيها:

نطق القضاء فهلل الحق
فإذا الحكومة ما لها نطقُ

الياس سحاب: هذا مطلع القصيدة؟

محمود الحوت: نعم، هذا مطلعها، وهي قصيدة جميلة، سجلت لقاضي القضاة (وهو بريطاني) الوقوف ضد قرار للمندوب السامي البريطاني.

الياس سحاب: هذا موقف منطقي جدا، الوقوف ضد السلطة البريطانية من جهة وقراراتها السياسية، والإعجاب بالقضاء البريطاني. وهو يذكرني بموقف أمير الشعراء **أحمد شوقي** في قصيدته عن حريق دمشق، عندما هاجم السلطة السياسية الفرنسية، ولكنه امتدح قيم الثورة الفرنسية في بيته الشهير:

دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم أنه نور و حق

محمود الحوت: تماما. لم أستطع إلا احترام الموقف النزيه للقاضي البريطاني، ولم أتمالك نفسي من امتداحه.

الياس سحاب: هل كانت هذه القضية بعد سنة ٣٨ أو قبلها؟

محمود الحوت: قبل سنة ١٩٣٨.

الياس سحاب: أستاذ محمود، أنتم عائلة لبنانية الأصل، هل أنت من مواليد فلسطين أم لبنان؟

محمود الحوت: لا، أنا من مواليد فلسطين، فأبي انتقل من لبنان إلى فلسطين وهو صغير.

الياس سحاب: من كان أول "حوت" انتقل من لبنان إلى فلسطين؟

محمود الحوت: والدي.

الياس سحاب: هل كان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر أم في أوائل القرن العشرين؟

محمود الحوت: كان ذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

الياس سحاب: ما اسم الوالد، وهل استقر في يافا

رأسا؟

محمود الحوت: اسمه سليم يوسف الحوت، كانت له شقيقة متزوجة في يافا. فلما ذهب لزيارتها عائشة بقولها، انتم كلكم في بيروت (كان لها عشرة أشقاء وخمس شقيقات)، لماذا لا تبقى معي في يافا؟ فراقت له الفكرة ووافق، وما كان منها إلا أن زوجته فتاة من آل صابر، وهي عائلة معروفة في يافا.

الياس سحاب: الوالدة إذن فلسطينية؟

محمود الحوت: نعم، فلسطينية من يافا. كان والدها تاجرا معروفا هناك، وهو أصلا من أسرة مصرية هاجرت إلى يافا. والحقيقة أن عمتي كانت متزوجة من آل صابر فاختارت لشقيقها (أبي) عروسا من العائلة نفسها.

معتز الدجاني: هذه كانت طليعة أسرة الحوت في الانتقال من لبنان إلى فلسطين؟

محمود الحوت: نعم، كانت البداية بين بيروت ويافا.

الياس سحاب: ولكن هل لك أن تخبرنا كيف تمت الخطوة الأولى، أي زواج عمتك من أحد أبناء عائلة صابر بيافا، كيف تم التعارف بينهما، وأين، في بيروت أم في يافا؟!

محمود الحوت: من خلال علاقة آل صابر من يافا بالشيخ عبد الرحمن الحوت، أي ابن عم أبي. وقد طلب يوسف صابر إلى عمتي من الشيخ عبد الرحمن الحوت. والطريف في الأمر أنه كان في نابلس متصرف اسمه عبد الرحمن حقي الحوت (غير الشيخ عبد الرحمن الحوت في بيروت طبعا)، ولم نكن نعرف ذلك. حتى قبض لي يوما زيارة لنابلس لأحاضر في **نادي الحسين** هناك، وكنت في ذلك الوقت ألقي محاضرات في نابلس، حيث أقيمت حفلة كان يجلس إلى يميني فيها رئيس بلدية نابلس عبد الرزاق طوقان، وإلى يساري الشيخ شافع عبد

والدي أول "حوت" انتقل من لبنان واستقر في فلسطين وكان كلما جاءته رسالة باسم "سليم البيروتي" يرفض استلامها.

الهادي، فالتفت إلى الشيخ شافع، وكان رجلا وقورا ذا لحية بيضاء، وقال لي: أنتم من يافا أصلا، لا أظن ذلك؟ فأجبته، بالفعل، نحن من بيروت أصلا، ولكن والدي استقر في يافا. فقال لي: هذا يفسر الأمور، لأنه كان لدينا في نابلس متصرف قادم من بيروت اسمه عبد الرحمن حقي الحوت.

الياس سحاب: هذا طبعا غير الشيخ عبد الرحمن الحوت؟

محمود الحوت: طبعا الشيخ عبد الرحمن كان نقيب السادة الأشراف، وكان عضوا لمجلس بلدية بيروت، أما عبد الرحمن الآخر فكان كاتب ولاية بيروت، وهذا ما جعل المؤرخين يخلطون أحيانا بين الرجلين.

الياس سحاب: الشيخ عبد الرحمن كان في الجهاز التشريعي، أما عبد الرحمن الآخر فكان في الجهاز الإداري.

محمود الحوت: نعم، وهكذا نكتشف أن الوالد وشقيقته لم يكونا أول من انتقل من آل الحوت إلى فلسطين، بل سبقهما بمدة عبد الرحمن حقي الحوت. ولكنه لم يستقر هناك، بل عاد إلى بيروت عند انتهاء مهمته الإدارية هناك في العهد العثماني.

الياس سحاب: أظن انه بعد موجة الهجرة الأولى في أواخر القرن التاسع عشر، استمرت هجرة آل الحوت إلى فلسطين في موجات أخرى.

محمود الحوت: صحيح فقد تزوجت احدى بنات عمي رجلا من حيفا فذهب والدها يزورها (أبو عبد الرحمن وعادل الحوت)، وبقي هناك.

الياس سحاب: هل عاد أحد شباب آل الحوت من فلسطين إلى بيروت لاستكمال دراسته الجامعية؟

محمود الحوت: لا، عدت وحدي.

الياس سحاب: كيف كان شعورك عند العودة الى بيروت وأنت صغير السن؟

محمود الحوت: كنت اصغر تلميذ في الجامعة (١٦-١٧ سنة)

الياس سحاب: لا، أقصد شعورك كونك من أصل لبناني، وعائد الى لبنان.

محمود الحوت: الحقيقة أن والدي كان يملأنا بالشعور أننا من أصل لبناني، حتى انه كان كلما ولد له صبي أو بنت في يافا، يأتي إلى بيروت لتسجيله في سجلات نفوس بيروت. لذلك، عندما جئنا إلى بيروت بعد العام ١٩٤٨، كان سهلا علينا استخراج بطاقات هوية لبنانية. مع أننا جميعا ولدنا في يافا. وأغرب من ذلك، أن والدي سليم الحوت اللبناني الأصل، كان مختارا في يافا.

---

* طرح السؤال ليس من باب الفضول، بل هو طبعا لاستقراء نموذج من حركة الأسر وتزاوجها بين لبنان وفلسطين.

الياس سحاب: جيرانكم في يافا، هل كانوا يلقبونكم "اللبناني" أو "البيروتي"؟

محمود الحوت: لا، لأن أبي كان قد أصبح من صميم مدينة يافا. كانوا في بداية الأمر يلقبونه سليم البيروتي، ولكنه كان كلما جاءته رسالة باسم "سليم البيروتي" يرفض استلامها. كان يقول: أنا سليم يوسف الحوت، ولست سليم البيروتي. مع أنه كان يحب بيروت كثيرا، ويعود دائما لزيارتها، حتى كتب له الله أن يعود إليها نهائيا بعد العام ١٩٤٨، ومات فيها سنة ١٩٥١. ولكنه لم يتوفَّ في بيروت بل في سوق الغرب، حيث سار في جنازته رجال الأكليروس المسيحي، ثم نقلناه من عاليه بالسيارة ليدفن في بيروت.

الياس سحاب: اسمح لي أن أعقد مقارنة بين العائلات اللبنانية التي كانت تنزح إلى فلسطين والعائلات الفلسطينية التي كانت تنزح إلى لبنان، وبعض هذه العائلات حمل اسما يدل على حركة النزوح هذه مثل عائلة أبو النصر الفلسطينية التي نزحت من يافا إلى لبنان فأصبح اسمها "أبو النصر البافي". فهل كانت هناك علاقات بين هذه العائلات المتنقلة بين لبنان وفلسطين؟

محمود الحوت: أظن أن هذه العلاقات كانت موجودة، وأنا أذكر أن كثيرا من العائلات المعروفة في يافا كان أصلها إما من مصر أو من لبنان.

في الجامعة الأميركية في بيروت

أعتقد أنا بذلك استكملنا المعلومات الأساسية عن بداية انتقال قسم من أسرة الحوت إلى فلسطين، عاد بعدها الأستاذ **محمود الحوت** إلى نشأته وذكرياته الشخصية، عن صداقته مع عبد المنعم الرفاعي (وزير الخارجية، رئيس الوزراء الأسبق في الأردن) عندما ترامالا في الجامعة الأميركية في بيروت.

الياس سحاب: انتقالك من يافا إلى بيروت للدراسة الجامعية فيها، فيه تفصيل مهم، نريد أن نستزيد منه.

نشرت معظم قصائدي بأسماء مستعارة، المرة الوحيدة التي وقعت فيها قصيدة باسمي الصريح اضطرتني للهرب الى بغداد.

محمود الحوت: جئت إلى بيروت في العام ١٩٣٣ والتحقت بالجامعة الأميركية بصف "الفرشمن". وكان عبد المنعم الرفاعي زميلي في الصف.

الياس سحاب: كان ذلك بعد انتساب الشاعر إبراهيم طوقان للجامعة الأميركية في بيروت (١٩٢٨-١٩٢٩).

محمود الحوت: كان عبد المنعم الرفاعي مقربا من الأمير عبدالله (الملك عبد الله بعد ذلك)، وكان يرافقه في أسفاره ورحلاته. ويبدو أن الأمير عبد الله كتب قصيدة في وصف إحدى رحلاته في مناطق شرق الأردن مطلعها:

حمدت ذا الدرب في أولى وآخرة
لولا الذباب، ولولا كبوة الفرسِ

بعد ذلك، قام عبد المنعم الرفاعي بكتابة قصيدة معارضة لقصيدة الأمير عبد الله، وأرسلها لي في يافا، فكتبت أنا قصيدة معارضة لقصيدة عبد المنعم الرفاعي.

الياس سحاب: معنى ذلك انك كتبت قصيدة معارضة للمعارضة.

محمود الحوت: نعم، ويبدو أن الأمير عبد الله أعجب بقصيدتي، فأرسل قصيدة لجريدة **الدفاع** يرد بها على قصيدتي. وطلب إلي أن أوالي نشر قصائدي في الصحف. وأصبح كلما قدم إلى فلسطين ومعه عبد المنعم الرفاعي، يطلب إليه استدعائي، ويقول له أريد رؤية **محمود الحوت**. وكنا نقضي معا أياما جميلة. وكنت كلما زرت عمان أذهب لمقابلة الأمير عبد الله في قصره. ولكن كل ذلك كان قبل نكبة ١٩٤٨، بعد ذلك، لم أرغب في زيارته، حتى لا يظن أني أطلب مساعدة بصفتي لاجئا أو نازحا. وأنا لي قصة مشابهة مع عبد الناصر، سأرويها لك لاحقا.

الياس سحاب: الذي فهمناه حتى الآن انك أساسا شاعر، يكتب القصائد الوطنية وينشرها في جريدة **فلسطين** أو **الدفاع**. وانك بهذه الصفة كنت تدعى لإلقاء المحاضرات.

محمود الحوت: الشاعر يدعى أحيانا لإلقاء مختارات من شعره، وأحيانا لإلقاء محاضرات، وهذا ما فعلته، ولكن بعدما تخرجت للمرة الثانية من الجامعة....

الياس سحاب: تخرجت مرتين؟ كيف ذلك؟

محمود الحوت: أنهيت البكالوريوس عام ١٩٣٧، ثم عدت إلى يافا، وبعد ذلك، رجعت إلى بيروت لمتابعة دراسات الماجستير فحصلت عليها في العام ١٩٤٠.

ولكن، بعد حادثة هربي التي رويتها أعلاه، اتجهت إلى بغداد، وهناك خيروني أن أختار أي مدينة ليعينوني فيها أستاذا للغة العربية. ولكني رفضت المدن، فعينوني في قرية بعيدة عن بغداد حوالي ٦٠-٧٠ كيلومترا.

الياس سحاب: لقد أمضيت فترتين في الجامعة الأميركية في بيروت (البكالوريوس ثم الماجستير)، كيف كانت كثافة الطلاب الفلسطينيين يومها في الجامعة الأميركية في بيروت، هل كانوا يعدّون بالآحاد، أم بالعشرات، أم بالمئات؟

محمود الحوت: كان هناك عدد لا بأس به.

الياس سحاب: بالعشرات مثلا؟

محمود الحوت: طبعا بالعشرات.

الياس سحاب: هل كان هناك أساتذة فلسطينيون، أم أن الوجود الفلسطيني اقتصر على التلاميذ فقط؟

محمود الحوت: في أيامي، لم يكن في الجامعة الأميركية أساتذة فلسطينيون.

الياس سحاب: هل تذكر أسماء أساتذة في الجامعة الأميركية، كان لهم عليك تأثير شخصي أو فكري؟

محمود الحوت: الحقيقة أنني جئت إلى بيروت وليس في ذهني أي فكرة عن التخصص الذي سأختاره. اذكر أن أخي أبا سليم (أحمد الحوت) نصحني بأن أدرس أي تخصص، على أساس أننا نمارس التجارة في يافا، فيمكنني العودة للانخراط في أعمالنا التجارية. والحقيقة أن نظام اختيار المواد على الطريقة الأميركية (مواد أساسية ومواد فرعية)، سمح لي أن أدرس مواد تجارية. ومواد في تاريخ الفكر الإسلامي واللغة الإنكليزية. ولما أنهيت دراسة هذه المواد، ذهبت للدكتور **أنيس المقدسي**، وقلت له اني شبعت من دراسة المواد التجارية، وأريد الانتقال إلى قسمك لدراسة اللغة العربية، وهكذا بدأت أنسحب تدريجيا من دراسات التجارة مع الأستاذ أحمد صواف وأنعمس في دراسات اللغة العربية عند الأستاذ "المقدسي".

الياس سحاب: هل يمكن القول إن الدكتور أنيس المقدسي كان أستاذك الأساسي؟

محمود الحوت: الحقيقة أن الدكتور المقدسي كان أستاذي في اللغة العربية، والدكتور **قسطنطين زريق** علمني تاريخ الفكر الإسلامي، والدكتور **جبرائيل جبور** فلسفة، والدكتور **شارل مالك** والدكتور **أسد رستم**، كل هؤلاء لهم فضل علي، وقد أحسست بفضلهم خاصة عندما قمت بدراستي عن الشيخ محمد الحوت، التي بدأت أرسم ملامحها الأولى معهم قبل كتابتها بأربعين عاما.

ولكن موضوع الماجستير كان كتابي الشهير **في طريق الميثولوجيا عند العرب**. ولأذكر أن أحد الأساتذة المصريين الدكتور **حسن إبراهيم حسن**، عندما اطلع على مخطوطة الأطروحة في يافا قال لي ان سطرا واحدا من هذه الأطروحة يستحق لقب دكتوراه.

الياس سحاب، في معلوماتي الشخصية أن الجامعة الأميركية عرفت في الجيل الذي سبقك، والجيل الذي جاء بعدك تلامذة فلسطينيين مبرزين، برز بعضهم في الدراسة وبعضهم في الحياة العامة. هل لك أن تذكّر لنا أسماء بعض هؤلاء؟

محمود الحوت: من جيلي، أذكر المرحوم **سعيد العيسى**، كان شاعرا من يافا، وأذكر **عبد المنعم الرفاعي**. وكان هناك أيضا **إسماعيل الخالدي** و**يعقوب الخالدي**.

الياس سحاب: هل تذكر أسماء أخرى؟

محمود الحوت: من الفلسطينيين، لا أذكر، ولكن من العرب، كانوا نشيطين في الدراسة وفي الانتساب إلى الحركات السياسية والوطنية، مثل **جمعية العروة الوثقى**، وكنا نقيم نشاطات أدبية وفكرية يشارك فيها شعراء ومفكرون عرب.

الياس سحاب: "الجواهري" مثلا كان يشارك؟

محمود الحوت: طبعا.

الياس سحاب: أظن أن قضية فلسطين كانت تستحوذ على اهتمام كل الطلاب العرب في الجامعة الأميركية يومها، وليس الفلسطينيين وحدهم؟

بعد تخرجي في الجامعة الاميركية في بيروت انضميت الى اذاعة القدس مراقبا لغويا. وكان يرئس القسم العربي فيها عجاج نويهض.

محمود الحوت: كانت قضية فلسطين هي المحور الأساس الذي تقوم حوله التحالفات والخصومات، وكنت أنتمي إلى التيار الغالب، تيار الحركة القومية العربية، وقد قلت في ذلك شعراً:

قومية ليس إلا، نستظل بها
من شرق بغداد، حتى غرب تطوانِ
أما ديانات أهليها، فليس سوى
علاقة بين ذي دين ودينّانِ

الياس سحاب: هل كتبت هذه القصيدة في الجامعة؟

محمود الحوت: كلا، بل عندما نشبت الثورة العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨.

الياس سحاب: هل شاركت في نشاطات محددة أيام الجامعة؟

محمود الحوت: الحقيقة أن كل حادث عربي، كان يجد له صدى في الجامعة، بغض النظر عن جنسية الحدث، أو جنسية الطالب.

الياس سحاب: ترى كيف كان موقف إدارة الجامعة إزاء مثل هذا النشاط السياسي الكبير، هل كانت تراقب من بعيد، أو تتدخل مباشرة؟

محمود الحوت: من المعروف أن إدارة الجامعة كانت تحاول احتواء الموقف، والابتعاد بالجو الجامعي عن هذه الحركات التي تعتبر في نظرها مدمرة لهدأ الجو، بل إنها كانت أحياناً تستعين بالسلطات.

الياس سحاب: ولكن الجو السياسي كان يبقى مسيطرا بين الطلاب؟

محمود الحوت: طبعا، وكانت الحركة السياسية تفرض نفسها، وأنا كنت سكرتير **العروة الوثقى**، وكنا نحضر لمؤتمر عربي شامل، كان يفترض انعقاده في مصر.

معتز الدجاني: مؤتمر حول أي موضوع، فلسطين؟

محمود الحوت: كنا نحضّر لمؤتمر عربي عام. وأذكر أن النحاس باشا أرسل لنا يومها مندوبا يطلب منا أن نصرف النظر عن هذا المؤتمر، لان الظروف السياسية في مصر لم تكن تسمح بذلك. وكان ذلك في أواخر الـ ١٩٣٦ أو الـ ١٩٣٧.

الياس سحاب: دعنا نعود الآن إلى يافا، لنطّلع على نشاطك العملي في يافا، بعد انتهاء فترة تخرجك الثاني في الجامعة الأميركية في بيروت.

محمود الحوت: بعد تخرجي، طلبني القائمقام عامر بك النشاشيبي، لانضم إلى الإذاعة في القدس، وكان يرئس القسم العربي فيها عجاج نويهض.

الياس سحاب: لمعلوماتك، أبو نائل، هذا المنصب كان يشغله قبل "نويهض" الشاعر **إبراهيم طوقان**.

محمود الحوت: كان "نويهض" هو المسؤول، وأنا كنت مساعد مراقب، وبقيت هناك حوالي سنتين.

الياس سحاب: هل يمكن التوقف عند تفاصيل هذه المرحلة؟ فقضاء سنتين في إذاعة القدس في ذلك الوقت مسألة مهمة.

محمود الحوت: أنا كنت أهتم بمراقبة النصوص الأدبية، ونشرات الأخبار. لم يكن لي علاقة بالنصوص الفنية.

الياس سحاب: هل كانت مهمتك في قسم الأخبار سياسية أم لغوية؟

محمود الحوت: لا، لم تكن مهمة سياسية، كانت مهمة لغوية، فقد نجحت في امتحان "المعلمين الأعلى". فطلبوني أن أنضم إلى قسم اللغة العربية في دائرة المعارف، في منصب مفتش لغة عربية.

في يافا عملت مساعدا لمفتش معارف اللواء الجنوبي، وبقيت مسؤولا عن جميع مدارس يافا الحكومية والخاصة حتى خروجنا في العام ١٩٤٨.

الياس سحاب: هذا الكلام يوصلنا إلى العام ١٩٤٢.

محمود الحوت: أمضيت فترة تدريب في دائرة المعارف، مساعد مفتش معارف اللواء الجنوبي. وكنت في فترة مكوثي في القدس أرافق كبار المفتشين في دورات على مدارس مختلفة، ثم عدت إلى يافا، وأصبح مركزي هناك، فكنت مساعدا لمفتش اللواء الجنوبي، مسؤولا عن مدينة يافا.

الياس سحاب: ومن كان مفتش اللواء الجنوبي؟

محمود الحوت: **مصطفى الدباغ**، وكان يحبني كثيراً. وكنت أيضا مفتشا في بلدية يافا على المدارس الخاصة، وهكذا أصبحت مهامي التفتيشية تشمل كل مدارس يافا الحكومية والخاصة، حتى كنت أزور المدارس الدينية التبشيرية. وكانت تقاريري عن المدارس كثيرا ما تؤدي إلى حصولها على مساعدات، لذلك، أصبحت عندما أتأخر عن زيارة هذه المدارس، تتصل بي الإدارة، وترجوني أن أسرع في القيام بجولة التفتيش. ومن المدارس التي أذكرها بالخير **مدرسة الروضة والكلية الارثوذكسية**. وهكذا، بقيت مسؤولا عن جميع مدارس يافا، حتى خروجنا في العام ١٩٤٨.

الياس سحاب: هل أدت فترة عملك كموظف حكومي إلى لجم الكوامن الأدبية والسياسية لديك، خاصة أن أدبك كان من نوع القصائد الثورية؟

محمود الحوت: الحقيقة أن الأسماء المستعارة كانت تنقذني في هذا المجال.

الياس سحاب: هل أفهم من ذلك أن عادة استعمال الأسماء المستعارة لم تلازمك منذ البداية، بل في فترة عملك الحكومي فقط؟

محمود الحوت: الحقيقة أنني لجأت إلى الأسماء المستعارة، عندما كثرت قصائدي المنشورة في الصحف، فأحسست أن الاسم المستعار يحميني من المساءلة. فأتتبع بكامل حريتي في التعبير عن أفكاري.

الياس سحاب: ألم تتنبه الإدارة الحكومية إلى هذه الحيلة، حيلة الاسم المستعار؟

محمود الحوت: نادرا ما كان يحدث ذلك، أذكر فقط أن القائمقام اتصل بوالدي وطلب إليه أن أخفف لهجتي قليلا، "لان العيون مفتوحة علي".

الياس سحاب: وفي المرة التي وقعت فيها القصيدة باسمك الصريح أضطررت للهرب إلى بغداد، كم طالت فترة الهرب هذه؟

محمود الحوت: أظن أنها كانت فترة ١٩٣٨-١٩٣٩، وحتى هذه الفترة كنت أمارس فيها كتابة الشعر الثوري، حتى ان الملك غازي سمع بنشاطي وطلب من المتصرف إحضاري إليه. ولكن الملك غازي مات قبل أن أقابله، وكان قد طلب أن أمضي معه أسبوعين.

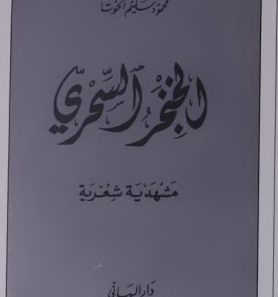

الياس سحاب: ماذا كنت تدرس في العراق؟

محمود الحوت: أدب إنكليزي.

الياس سحاب: نعود إلى الفترة التي كنت فيها موظفا كبيرا في دائرة المعارف. في تلك الفترة كان الصراع محتدماً على أرض فلسطين، كيف كنت ترى انعكاس هذا الصراع داخل دائرة المعارف، من خلال موقعك الرسمي فيها؟

محمود الحوت: في الحقيقة أن الحركات الوطنية الفلسطينية كانت تتجلى في مدارسنا.

الياس سحاب: هل كانت المدارس بؤرة للعمل الوطني؟

محمود الحوت: طبعا، حتى عندما كنت تلميذا في المرحلة الثانوية، لقد كتبت مرة مسرحية عن **عمر المختار**. وكان هناك موسم **النبي موسى** في القدس، فقدمت المسرحية خلال الاحتفال، وتقمصت أنا دور عمر المختار مع مجموعة من زملائي الطلاب. فلما عدت إلى يافا، طلبني القاضي للتحقيق معي، فحملت التبليغ وذهبت به إلى مدير المدرسة، وكان **رفيق بك التميمي**، فغضب كثيرا، وطلب إلى عدم

تلبية الاستدعاء. وكان هو مشهورا بميوله القومية العربية. وتولى هو الأمر فذهب إلى القدس وواجه المستر **جيرموم فارفيل** وكان من رجال الاستعمار المشهورين!

الياس سحاب: هل كان مسؤولا في الإدارة البريطانية؟

محمود الحوت: كان مدير التعليم العالي. ومع ذلك عاتبه **رفيق التميمي** بلهجة غاضبة، لقيامه باستدعاء "ولد صغير".

الياس سحاب: هذه القصة تعطينا فكرة عن الجو المدرسي عندما كنت تلميذا، نريد معلومات عن الفترة التي كنت فيها موظفا كبيرا في دائرة المعارف. وأسمح لي هنا أن أطرح سؤالا محددا: أنتم كنتم تشتغلون بمشاعر وطنية وقومية، ولكن الإدارة البريطانية فوق رؤوسكم كان لها اتجاه معاكس. كيف كانت تتصرف هذه الإدارة؟ هل كانت تحاول فرض توجه في المناهج التربوية يناسب خطها السياسي؟

محمود الحوت: فعلا انعكس هذا الصراع السياسي الدفين على الوضع في المدارس. كانوا من جهتهم يحاولون لجم، أو قمع، التيار الوطني القومي المسيطر في المدارس، ونحن كنا نفعل كل شيء لنحول بينهم وبين ذلك. وتعودنا أن نتصرف دائما التصرف المناسب الذي يقطع عليهم الطريق، ونحمي الأساتذة والطلاب، على حد سواء. وكانت محاولاتنا مكشوفة أمامهم. ولكن كثيرا ما كانوا يضطرون إلى غض الطرف. ونحن من جهتنا كنا ننتهز فرصة حسن تصرف الأساتذة والطلاب لنغض الطرف عن نشاطهم ذي الطابع السياسي ونحميهم. هكذا كانت حركة الصراع.

الياس سحاب: هذا عن الأساتذة والطلاب. كيف كانوا يتصرفون بالنسبة للتحديد المناهج؟ أي كتاب تاريخ؟ أي كتاب جغرافيا؟

محمود الحوت: الحقيقة أنهم كانوا يحرصون أن تكون جميع الكتب المقررة من مستوى ممتاز. لم يكن لسلطة الانتداب البريطاني أي دعاية بريطانية مباشرة من خلال الكتب، في المحيط العربي.

الياس سحاب: لقد بقيت في منصبك بالمعارف حتى الهجرة من فلسطين. ألا تذكر أي حادث مميز في هذه الفترة، أي إشكال، أي صدام، أي صراع فكري بينكم وبين سلطة الانتداب؟

محمود الحوت: لا أذكر شيئا مهما من هذا القبيل، فقد كانت سلطة الانتداب تركز جهودها على حسن سير الأمور في المدارس.

الياس سحاب: معنى ذلك انهم كانوا يراعون المشاعر الوطنية التي تعبر عن نفسها في إطار المدرسة؟

محمود الحوت: هذا صحيح. كان المهم أن يطبق المنهاج التعليمي بشكل جيد، وان لا تتوقف الدراسة. حتى انهم كانوا يتبعون نظاما مركزيا في الامتحانات، تتحدد أسئلة الامتحانات الموحدة في القدس، وتعمم على كل مدارس فلسطين.

الياس سحاب: لا شك أن العام الدراسي الأخير كان مضطربا، لان الأحداث قطعته في نيسان وأيار ١٩٤٨، قبل نهايته الطبيعية في شهر حزيران. هل لك أن تروي لنا ذكريات خاصة عن هذا الموسم المدرسي "الأخير" الاستثنائي في ظروفه؟

محمود الحوت: من ذكريات هذا العام الدراسي، أنني كنت مسؤولا عن امتحانات الشهادة الثانوية (المتريكولشن). كانت الأمور تسير بشكل عادي. والامتحانات جرت في يافا في مدرسة **الفرير**. الحادثة الشخصية التي أذكرها أن **فليق الحوت** كان يريد الانسحاب من الامتحانات لان شقيقه مصاب. فأجبرته على تقديم الامتحان. والغريب في هذا الموضوع ان قاعة الامتحان التي كنت مشرفا فيها كانت تطل على الشارع الذي ستسمر منه جنازة شقيقه، الذي توفي إثر الحادث. فقدم أوراق الامتحانات مبللة بدموعه. وحدث ان وقعت أوراقه بين يدي قبل إحالتها للجنة التصحيح. فسجلت إشارة على أوراقه تفيد بان بعض الكلمات غير الواضحة، إنما بللتها دموع الطالب حزنا على شقيقه. والحمد لله نجح شقيق. وحصل على الشهادة الثانوية التي مكنته من الانتساب للجامعة الأميركية في بيروت، بعد الهجرة.

الياس سحاب: أستاذ محمود، حديثنا معك استوفى حتى الآن ملامح الصورة العامة لنشاطك العام، في مرحلة ما قبل ١٩٤٨، الذي اتضح لنا أنه كان يسير على خطين:

- خط القصائد الوطنية التي كانت تنشر بشكل رئيسي في جريدتي **فلسطين والدفاع**.

- خط عملك الرسمي كمفتش لغة عربية في دائرة المعارف.

هل لك أخيرا، أن تذكر لنا أسماء فلسطينية أخرى كانت لامعة في المجالين المذكورين، مجال الشعر، ومجال دائرة المعارف.

محمود الحوت: في المعارف أذكر **مصطفى الدباغ**، ومديرنا **رفيق التميمي**.

الياس سحاب: غير هذين الاسمين؟

محمود الحوت: كان لدينا أستاذ مهم في الرياضيات، اسمه **رضا إبراني**. أذكر كثيرا من الأساتذة الذين كانوا شديدي التميز في اختصاصهم التعليمي، ولكن لم يكونوا بارزين سياسيا أو وطنيا. وكان لهؤلاء الأساتذة دور أساسي في تكوين جيلنا نفسيا وعلميا. وأذكر بشكل خاص أستاذي في اللغة العربية الذي

كان له الفضل الأكبر في نشأتي الأدبية. حتى عندما التحقت بالجامعة، كنت أحس بقيمة ما علمونا إياه في المرحلة الثانوية. أذكر بشكل خاص في هذا المجال أستاذ الأدب العربي في المدرسة **العامرية** في يافا، الأستاذ **أديب خوري**.

معتز الدجاني: هل كان فلسطينيا، أم من أصل لبناني؟

محمود الحوت: كان فلسطينيا. كان له فضل كبير على مادة العروض الشعرية، التي كنت امتلك سليقة عفوية طيبة في مجالها، ولكنه مكنني من قواعدها، وكان كلما حققت إنجازا مهما في مادة الأدب العربي، يعرضه على الإدارة والأساتذة.

كذلك أذكر بالخير أستاذ الرياضيات رضا إبراني، كان يعرف أني لا أميل للرياضيات، ولكن دار بيني وبينه سجال، قلت له، أنا لست ضعيفا في الرياضيات، ولكني فقط لا أميل لها، بل للأدب واللغة. ثم طرحت عليه تحديا في هذا المجال لأثبت له دقة قولي. وبالفعل، بذلت في ذلك الفصل جهدا خاصا في مادة الرياضيات، وفوجئ الأستاذ بأني كنت الأول في امتحان الرياضيات. عندها قلت له، لقد أثبتُ لك صحة قولي. والآن هذه أول مرة وآخر مرة أحصل فيها على علامات ممتازة في مادة الرياضيات. وكان لدينا أستاذ رياضيات آخر ممتاز هو **إبراهيم مطر**.

الياس سحاب: هذه الاسماء كلها من فترة دراستك، هلا ذكرت لنا لامعة من فترة عملك في دائرة المعارف؟

محمود الحوت: أذكر أنني كنت أحترم بشكل خاص مجهود وتقارير الأساتذة في مدرسة العامرية ببافا، كان فيها مدير متميز، الأستاذ **علي شعث**. كما أذكر أستاذا مهما في مادة الأشغال اليدوية، اسمه **محمد فتيان**، وكانت هذه مادة مهمة في يافا في جميع المناهج، وكنا نهتم بها في مدارس فلسطين كافة. خصوصا في يافا. وكان الأمر يثمر معارض للطلاب في التجارة وتجليد الكتب.. وسواها.

الياس سحاب: هذه النقطة تفتح المجال أمام الحديث عن أهمية المناهج التربوية في فلسطين في وقت مبكر جدا بالنسبة إلى معظم الدول العربية الأخرى. ليتنا نستكمل الحديث في مجال الفلسفة التربوية في فلسطين في فترة ما قبل النكبة، في مقابلة أخرى معك.

محمود الحوت: الاهتمام بالأشغال اليدوية كان يهيئ الطالب للعمل مباشرة بعد تخرجه.

الياس سحاب: يعني مقدمة لما نسميه اليوم "التعليم المهني".

محمود الحوت: وهذا المنهاج كان معمما في كل مدارس فلسطين، وباهتمام كبير جدا.

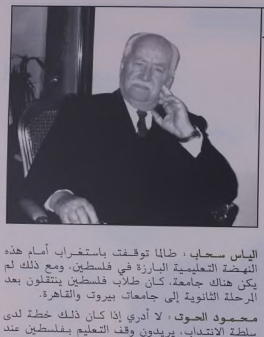

الياس سحاب: طالما توقفت باستغراب أمام هذه النهضة التعليمية البارزة في فلسطين. ومع ذلك لم يكن هناك جامعة. كان طلاب فلسطين ينتقلون بعد المرحلة الثانوية إلى جامعات بيروت والقاهرة.

محمود الحوت: لا أدري إذا كان ذلك خطة لدى سلطة الانتداب، يريدون وقف التعليم بفلسطين عند حدود المرحلة الثانوية. ولكن كانت الشهادة الثانوية محترمة في أي جامعة حتى في بريطانيا. ولا أدري سببا للوقوف عند هذا الحد. كان التعليم الوحيد الذي يتجاوز المرحلة الثانوية متمثلا في تدريب المعلمين والمعلمات (دار المعلمين ودار المعلمات).

بعد النكبة،
عمل الأستاذ محمود الحوت في إذاعة بغداد، وفي إذاعة الكويت في مرحلة تأسيسها،
ثم عمل مفتشا للغة العربية في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في لبنان.

وفي هذه الفترة،
استمر في كتابة الشعر مواكبا حركة النضال العربي في الخمسينيات والستينيات،
كما نشر عددا من الأبحاث والكتب.

أجرى المقابلة: الياس سحاب

المخرج السينمائي

قيس الزبيدي

نحافظ على الذاكرة البصرية للشعب الفلسطيني

محمد صالح الكيالي من مواليد يافا عام ١٩١٨، التقط أول ستوديو عربي للتصوير الفوتوغرافي بيافا.

يبذل المخرج السينمائي "قيس الزبيدي" منذ سنوات عدة، جهودا حثيثة لتأسيس أرشيف سينمائي وطني فلسطيني، يجمع ويحفظ بين دفتيه، بشكل علمي صحيح، جميع الأفلام والوثائق والأشرطة التسجيلية التي تناولت القضية الفلسطينية، وذلك عبر الاتصال مع جهات فلسطينية وأوروبية، للحصول على الدعم المعنوي والمادي لهذا المشروع المهم الذي من شأنه أن يحفظ الذاكرة البصرية للشعب الفلسطيني.

يمكن القول، إن "الزبيدي" قطع أشواطا مهمة على طريق إنجاز هذا المشروع، بعد أن وافق الأرشيف الاتحادي الألماني على تخصيص قسم للأرشيف الفلسطيني لحفظ الأفلام التي يتم جمعها، بشكل مؤقت، ريثما يتم حل مشكلة المكان مع الجهات الفلسطينية المعنية.

إن هذا المشروع يتقاطع جوهريا مع مشروع مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية في إعادة تسجيل وحفظ الذاكرة الثقافية الفلسطينية، تمهيدا لإعادة كتابة الرواية الفلسطينية - التي لم تكتب بعد - بشكل موضوعي وصادق.

لإلقاء الضوء على هذا المشروع، التقت **الجنى** في دمشق المخرج **قيس الزبيدي**، وكان هذا الحوار الذي تناول خلفيات المشروع، وأبعاده، والصعوبات التي يواجهها على طريق إنجازه بشكل كامل.

بداية، تحدث "الزبيدي" عن أهمية السينما بشكل عام، وبداياتها الوثائقية التسجيلية قائلاً: إذا أخذنا السينما، فهي عملياً، بالقياس إلى فنون أخرى، عمرها مائة عام فقط، بمعنى أن الكثيرين كانوا حتى فترة قريبة شاهد عيان على هذه التجربة، بينما المسرح، على سبيل المثال، ممتد في التاريخ.. إن السينما نشأت تحت بصر أشخاص كانوا جزءا من هذا التاريخ.

بدأ اختراع السينما عام ١٨٩٥، وعملياً، وبسبب من تداخل المشروعين (الصهيوني والفلسطيني)، نقول: إن الصهيونية بدأت عام ١٨٩٧، في مؤتمر بال... قبل ذلك كان قد صدر كتاب "هرتزل" **دولة اليهود** عام ١٨٩٥، الذي يعتبر إنجيل أو توراة، الحركة الصهيونية. وهذا يعطينا فكرة عن أن البداية التاريخية للحركة الصهيونية صاحبت نشوء السينما، مما يجعلنا نفترض أن كل الوقائع والأحداث والأمور المهمة التي رافقت نشوء هذه الحركة قد تم تسجيلها في السينما كوثيقة، لأن السينما بدأت بداية تسجيلية وثائقية. أخذت خطوطاً مهمة ومركبة، وهذه المسألة أدركتها الحركة الصهيونية بشكل مبكر. ولكن لم يدركها القائمون على حركة التحرر للشعب الفلسطيني. لذلك نقول إنه بسبب تداخل المشروعين، يمكن الرجوع إلى هذا التاريخ البصري والبحث فيه، وصولاً إلى تحديد الذاكرة البصرية للشعب الفلسطيني، وبالتالي تحديد تطور هويته الوطنية كشعب.

السينما الفلسطينية

حول بدايات السينما الفلسطينية، وملامحها، يقول "الزبيدي": بدأت السينما الفلسطينية بدايات متعثرة، والتعثر صاحبها في كل مسيرتها منذ العام ١٩٦٨ في الأردن، حتى الخروج الفلسطيني من لبنان بعيد الاجتياح الاسرائيلي في العام ١٩٨٢.

هذه المرحلة، القصيرة في الأردن، والطويلة نسبياً في لبنان، التي استمرت اثني عشر عاماً، ساهمت في صوغ وتحديد ملامح ما يسمى بالسينما الفلسطينية، وهي تلك السينما التي تنتمي، بالدرجة الأولى، إلى إنتاج أجهزة إعلام الفصائل الفلسطينية.

لقد قامت منظمة التحرير الفلسطينية في هذا المجال، بدور المحرض والمؤسس لإنشاء مركز سينمائي فلسطيني موحد، ومستقل وتابع للدائرة الثقافية في المنظمة، له استقلاليته من الناحية التخطيطية والإنتاجية، مع ما يتطلبه ذلك، أيضاً، من أصول وشروط.

هذه المرحلة كانت مرحلة صعبة، لكنها الأهم في تاريخ السينما الفلسطينية، لأننا نستطيع أن نفترض خلال هذه الفترة أنه تم تسجيل الكثير من الوثائق التي لها قيمة معنوية وقيمة تاريخية عالية، لكن، مع شديد الأسف، أغلبية هذا الإنتاج شبه مفقودة، وضائعة ومسروقة، وان وجدت، فمن من باب المصادفة في هذا المكان أو ذاك. وفي سياق تعليقه على هذه المسألة، قال المخرج "الزبيدي": لعل الصفة التي تميز السينما الفلسطينية أنها سينما لشعب من دون دولة، وبالتالي، من دون مكان. والمكان يؤدي دوراً حاسماً في طبيعة هذه السينما. كما أنه، وبسبب الشتات والتمزق الذي حصل بعد العام ١٩٨٢، تعرضت هذه السينما وكل الوثائق التي صورتها إلى الضياع والفقدان. لذلك، فإن الوظيفة الأولى بالنسبة إلى

اذا كانت الظروف مواتية، نستطيع تأسيس أرشيف فلسطيني عمره مائة عام من خلال التاريخ المباشر، وغير المباشر.

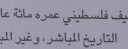

عملية تأسيس أرشيف وطني فلسطيني هي البحث عن هذه الأفلام. هذا هو المحور الأساسي للمشروع.

أفلام أخرى

في إطار تعداده لأفلام أخرى يمكن تصنيفها تحت عنوان "السينما الفلسطينية"، قال "الزبيدي": مع نهوض حركة المقاومة الفلسطينية بعد ١٩٦٧، ومع ثورة الطلاب في فرنسا عام ١٩٦٨، والإشعاعات الفكرية والثورية التي انتشرت في العالم... كل هذا قاد الى انخراط مجموعات أوروبية لعمل أفلام عن الفلسطينيين، بالإضافة الى إنتاج سينما عن القضية الفلسطينية من قبل سينمائيين في دول عربية عديدة.

في مرحلة متأخرة، بدأت في الثمانينيات، نشأت أيضاً سينما فلسطينية في المنفى بتمويل أوروبي، واستمرت حتى الآن بشكل نسبي، جيد أحياناً، ومتعثر أحياناً أخرى.

هناك أيضا محاولة لإنتاج سينما فلسطينية، من قبل الفلسطينيين الذين يعيشون في فلسطين كمواطنين في دولة "إسرائيل". هؤلاء يحاولون عمل سينما فلسطينية ضمن شروط مختلفة تماما عن شروط المنفى.

هنا أيضا، وبسبب من تداخل تاريخ الشعب الفلسطيني وتاريخ الحركة الصهيونية، نستطيع أن نقول، إن الذاكرة البصرية تمتد الى مائة عام. بمعنى أننا نستطيع ان نجد "وثيقة" على الرغم من أن إسرائيل تعتبر ان هذه الوثيقة تاريخها هي - إلا أنها في الوقت نفسه "تسجل تاريخ الشعب الفلسطيني. بمعنى أننا نستطيع، اذا كانت الظروف مواتية، تأسيس أرشيف فلسطيني عمره مائة عام من خلال التاريخ المباشر، وغير المباشر.

هناك مجموعة أخرى من الأفلام التي سيهتم الأرشيف بالحصول عليها، وهي الأفلام التي انتجت في

أوروبا وأميركا وتناولت الشخصية الفلسطينية بشكل مزيف ومشوه، أي تلك الأفلام التي تناولت القضية الفلسطينية من منحى صهيوني؛ والسبب أن هذه الأفلام تنتمي أيضا بشكل أو بآخر (كمعلومة فكرية أو ايديولوجية، أو وثائقية) إلى تاريخ الشعب الفلسطيني. وكما هو معروف، فإن إسرائيل أنجزت هذه المهمة بحكم وضعها الحداثي والحضاري، إلا ان الفلسطينيين لم يخبروا هذه المسألة، ولا العرب، على الرغم من أن تاريخ السينما في مصر يمتد مائة عام، لأن السينما في مصر بدأت بعد عام على بداية السينما في العالم. وقد احتفلت مصر بمرور مائة عام على وجود السينما المصرية، لكنها لم تنجز تأسيس أرشيف للسينما.

وعلى الرغم من الاهتمام المصري في السنوات الأخيرة بهذا الجانب، فانه لا يوجد أرشيف مصري يخص السينما الفلسطينية، او ما أنتج عن القضية الفلسطينية.

في سوريا أيضا، ورغم إنجاز مجموعة من الأفلام حول القضية الفلسطينية، إلا انه لم يكن هناك إدراك معرفي لأهمية الوثيقة البصرية التي تشكل جزءاً أساسياً من تاريخ الشعب العربي، أساسه، ذاكرة هذا الشعب المرئية.

ملامح المشروع

يقول "الزبيدي": إن المشروع الذي أعمل عليه الآن لم ينتج تخطيطه عن هذه المعرفة، وإنما هو مبادرة، لا نستطيع القول إن لها أرضية مادية، أو إنها تتأسس على أساس علمي، ومعرفي ضمن الشروط التي يتطلبها مشروع كهذا، كما حدث في الدولة التي أسست أرشيفها الوطني، بل هي مجرد مبادرة منطلقها معرفتي الشخصية (كمخرج سينمائي أنجز مجموعة من الأفلام الوثائقية عن القضية الفلسطينية، وقسم كبير من هذه الأفلام يستند الى أفلام أرشيفية) بأهمية الوثيقة بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية.

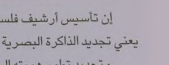

إن تأسيس أرشيف فلسطيني للسينما
يعني تجديد الذاكرة البصرية للشعب الفلسطيني
وتجديد تطور هويته الوطنية كشعب!

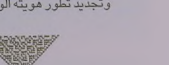

بعض الأفلام، لا يتناول موضوعا فلسطينيا، وإنما الفيلم بذاته يؤرشف صوراً لها علاقة بالشعب الفلسطيني. إن وظيفته الأساسية أرشفة الوثيقة، بمعنى أن هناك وظيفتين للفيلم: أن تعمل فيلماً عن الموضوع الفلسطيني، وأن يكون له مرجعية بصرية أرشيفية.

الآن، وبعد الذكرى الخمسين للنكبة، تجري محاولات بنيات حسنة تدرك أهمية السينما والأرشيف السينمائي في إعادة كتابة تاريخ الشعب الفلسطيني البصرية، وهذه المسألة أنجزت في إسرائيل مرات عديدة. فقد أنجزت الحركة الصهيونية غير مرة كتابة تاريخها وتاريخ إسرائيل، لكن هناك ميزة في فارقاً جوهرياً بين الكتابتين؛ بمقدار ما تحاول الكتابة الإسرائيلية الاقتراب من الكتابة الموضوعية فإنها تتعثر، لأن هذا التوجه الموضوعي يفضح المزاعم الصهيونية؛ أما أي كتابة تاريخية موضوعية فلسطينية فهي في الحقيقة تؤكد حق الشعب الفلسطيني التاريخي في أرضه ووطنه، وحقه في تأسيس دولته الوطنية.

آليات تأسيس أرشيف وطني

يقول "الزبيدي"، في معرض شرحه للآليات التي يعتمد عليها في إنجاز مشروعه، بدأت العمل على ثلاثة محاور:

المحور الأول، البحث عن أفلام فلسطينية، أو نسخ من أفلام فلسطينية مفقودة، أو أصلها ضائع. معظم هذه الأفلام أنتج بين الأعوام (١٩٦٨- ١٩٨٢).

المحور الثاني، التعاون مع مختص في ألمانيا في شؤون البحث الأرشيفي، لوضع "فيلموغرافيا" عن كل الأفلام في العالم التي تناولت القضية، بغض النظر عن جهة إنتاجها سواء كانت فلسطينية، أو عربية، أو أوروبية، أو أميركية، حتى تكون هذه "الفيلموغرافيا" المرجع، أو الدليل العملي. لأننا إذا كنا لا نستطيع الحصول على كل هذه الأفلام، فنستطيع على الأقل أن نثبت هذه الأفلام عبر العمل الأدبي.

وصلنا حتى الآن إلى إنجاز بطاقات لـ ٣٥٠ فيلماً تحتوي على: عنوان الفيلم، موضوعه، مكان وجوده، شروط وجوده، وبطاقته الفنية، وهل هو ٣٥ملم، أو ١٦ملم، أو على شريط فيديو؟ وهل هناك سالب (نيكتيف) للفيلم، أم هناك مجرد نسخة واحدة؟ وهل هذه النسخة صالحة، أم متضررة؟ وما هي الشروط الحقوقية للحصول على نسخة من الفيلم، أو السالب الأصلي؟

إن كل هذه المواصفات والمعلومات التي يتطلبها تأسيس أرشيف، نعمل على إنجازها.

المحور الثالث، تأسيس أرشيف وطني سينمائي في فلسطين. وكما يجب أن تتوفر لإنجاز أي مشروع مجموعة مواصفات، أو شروط لها علاقة بالمكان: حجمه، مواصفاته، المناخ الذي يتطلبه حفظ الأفلام...

هذا المشروع، الذي تمّ إنجازه بصورة أولية قدّم إلى الأرشيف الاتحادي الألماني، كي تتم دراسته من قبل مختصين إلى أن يكتمل. وتتوفر له كل المواصفات العلمية الحديثة، خصوصا أن الأرشفة في العالم بدأت تعتمد الأتمتة والكومبيوتر والمواصفات الحديثة التي لم تكن متوفرة في السابق.

وقد لخّص "الزبيدي" أخيراً المحاور الثلاثة التي يشتغل عليها لإنجاز مشروعه بـ: جمع أكبر قدر ممكن من الأفلام، والحصول على نسخ منها، وبحث توثيقي لكل الأفلام التي تناولت القضية الفلسطينية في العالم، ووضع مخطط قابل للتطبيق من قبل أي جهة تريد تأسيس وبناء أرشيف وطني فلسطيني (من المكان إلى التكلفة إلى المواصفات).

حل موقت للمكان

حول مسألة المكان، وأين ستخزن الأفلام التي يتم الحصول عليها موقتاً بشروط خزن ملائمة، قال "الزبيدي": وافق الأرشيف الاتحادي في برلين، الذي هو فرع من الأرشيف الألماني، على تأسيس قسم للأرشيف الفلسطيني، محفوظ فيه حالياً نسخ لأربعين فيلماً أوروبياً وفلسطينياً، وهناك في الوقت نفسه نسخة فيديو (بيتاكام) عن كل فيلم، ونسخة (P.G.S) فيديو، موجودة ومحفوظة في هذا الأرشيف.

وستقوم وزارة الخارجية الألمانية، بإهداء هذه الأفلام إلى الجهة الفلسطينية المعنية (وزارة الثقافة الفلسطينية) في رام الله. لكن محاولتي تنصب على أن تهدى نسخ الفيديو فقط، على أن يتم الاحتفاظ موقتا بالنسخ الثمينة في الأرشيف الألماني حتى لا تفقد، أو تستهلك من قبل الفلسطينيين، أو تتلف.

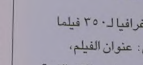

أنجزنا حتى الآن فيلموغرافيا لـ ٣٥٠ فيلما
تحتوي معلومات عن: عنوان الفيلم،
موضوعه، مكان وجوده، شروطه، بطاقته الفنية.

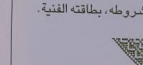

الأول من اليمين قيس الزبيدي

لأن المطلوب هو المحافظة على هذه الأفلام بشكل استراتيجي، كي تبقى مصانة، ومحفوظة بشروط ملائمة. وقد وافق الجانب الألماني على الاحتفاظ بهذه الأفلام لمدة ثلاث سنوات، وفي الإمكان تمديد هذه المدة ريثما يتم تجهيز مكان للأرشيف الوطني الفلسطيني، عندئذ نستطيع استعادة تلك الأفلام والاحتفاظ بها في شروط ملائمة، لأن أي عملية تخزين، يجب أن تعي هذه المسألة. وخصوصا أنه سبق أن حصلنا على مجموعة من الأفلام التي تلفت بسبب عدم توفير الشروط الملائمة لخزنها.

إنجاز المرحلة الأولى

حول المراحل العملية التي قطعها المشروع، يقول المخرج الزبيدي: لقد أنجزت حتى الآن المرحلة الأولى التي تعتمد على المحاور السابقة التي ذكرت. إن لدينا الآن أكثر من أربعين فيلماً ومخططا حديثا لبناء أرشيف وطني فلسطيني، وكتابة عن طرق حديثة لبناء فيلموغرافيا تحتوي على أكثر من ٣٥٠ عنواناً، يجري استكمالها، ويمكن أن تصدر قريباً باللغتين العربية والإنكليزية، تمثل دليلاً أو مرجعاً للسينما الفلسطينية، التي تشكل الذاكرة البصرية للشعب الفلسطيني.

عندنا الآن المكان الأولي، للحفظ الموقت لهذه الأفلام. صحيح إن مبادرتي، هي مبادرة شخصية، لكنها تستند إلى أسس علمية صحيحة، وإذا ما كان هناك جهة عربية مهتمة بهذا الموضوع، وأرادت أن تؤسس مكتبة فيديو عن التاريخ الفلسطيني البصري، ضمن شروط ملائمة، فهذا ممكن، لأننا قطعنا خطوات منذ سنوات عديدة في هذا المجال، وهذا من شأنه أن يوفر مبالغ طائلة فيما لو أرادت أي جهة أن تبدأ من الصفر.

اغلبية الوثائق المصورة ذات القيمة المعنوية والتاريخية العالية هي شبه مفقودة أو ضائعة أو مسروقة أوموجودة، من باب المصادفة في هذا المكان او ذاك.

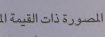

لكن يبقى السؤال: من يسمع؟ ومن يهمه هذا الأمر؟ طبعاً، إن تأسيس أرشيف فلسطيني يمكن أن يكون "النموذج" لتأسيس أرشيفات وطنية في البلدان العربية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه المهمة قد تكون أسهل بما لا يقاس من مهمة تأسيس أرشيف فلسطيني بسبب الاستقرار ووجود المكان.

اهتمام معنوي

حول مدى الدعم الذي يتلقاه هذا المشروع من مؤسسات وجهات دولية وفلسطينية، قال المخرج "الزبيدي": قبل ان نخوض في المشروع كنا نعتقد أن أصول الأفلام موجودة في معامل الطبع والتحميض في أوروبا، ولم نكن نعرف أن لديهم قوانين تخولهم إتلاف الأصول إذا لم يطالب بها أحد، أو إذا لم يطبع منها نسخ خلال عشرين سنة.

كان لديّ - على سبيل المثال - أفلام من إخراجي، موجودة في معمل (سينكو) في أمستردام. وعندما راجعتهم قالوا لي: "لو لم تأت، كنا نود إتلاف هذه الأفلام". وطالبوني بدفع رسوم لقاء حفظها خلال تلك المدة المنصرمة. طبعاً قدمت مشروعاً لـ"اليونسكو" كي أحصل على دعم لتسديد تلك الرسوم، وقدمت مخططاً لمشروع أرشيف فلسطيني إلى المؤتمر الدائم للموسائل السمعية ـ البصرية لدول البحر الأبيض المتوسط الذي تديره جمعية "أوبروبكسا" في بروكسل. وهذا المؤتمر يتعاون مع الأرشيف الدولي العالمي. وقد أدرج المشروع الفلسطيني في ورقة المشروع الأساسية التي ستقدم الى المؤتمر الذي سينعقد في اليونان لوزراء الخارجية والإعلام في أوروبا، وهو مؤتمر قمة. وفي حال حدوث دعم مالي لمساعدة أرشيف الدول الأوروبية، وأرشيفات دول أوروبا الشرقية، يمكن أن نحصل على دعم مالي لمساعي إيجاد أرشيف فلسطيني.

المشكلة الأساسية التي نواجهها هي انه ليس لدينا أفلام نريد حفظها، وانما عندنا أفلام ضائعة نريد البحث عنها أولاً. ومن ثم العمل على حفظها. لكن نستطيع القول إن العمل قد بدأ، وقد باتت الأرضية صالحة الآن ويمكن التأسيس عليها، وهذا افضل كثيرا من أن يتم تبني مشروع يبدأ من الصفر.

نحن نبحث عن أفلام بعيدا عن الوجود الفلسطيني. لكن بحسب المعلومات التي توفرت لدي، فإن هناك مجموعة كبيرة من الأفلام موجودة في مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الدول العربية وأوروبا. ولكن يجب تحفيز هذه المكاتب على التعاون معنا لدعم مسعى تأسيس أرشيف وطني فلسطيني. وتقديم هذه الأفلام لحفظها في هذا الأرشيف. وهذه المسألة مهمة جدا، إذ جرت بعض المحاولات في السابق للحصول على هذه الأفلام، لكنها أغفلت، ولم يكن هناك أي استعداد من قبل هذه المكاتب للتعاون معنا.

يبقى ان نشير أننا نقوم بهذا الجهد بالتنسيق والتعاون والدعم من وزارة الثقافة الفلسطينية، كجهة معنية ومستفيدة، لكن هذا الدعم معنوي، لان إمكاناتهم المادية محدودة.

حاوره: علي الكردي/ دمشق

بطاقة تعريف

فيس الزبيدي

- مخرج ومصور ومونتير سينمائي. عراقي.
- قام بإنجاز مجموعة من الأفلام التسجيلية المهمة لحساب المؤسسة العامة للسينما في سوريا.
- شارك في كتابة السيناريو لعدد من الأفلام.

فيلموغرافيا:

- بعيدا عن الوطن - تسجيلي/ ١٩٧٠.
- الزيارة - روائي قصير/ ١٩٧٢.
- شهادة الأطفال الفلسطينيين في زمن الحرب/ ١٩٧٣.
- اليازرلي - روائي طويل/ ١٩٧٤.

في فلسطين عشية النكبة

اعداد: عمر شبانة

تمتاز الحياة الثقافية في فلسطين، خلال العقود الخمسة الأولى من القرن العشرين، بسمات ومميزات تجعلها، بسبب من الظروف والوقائع التي شكلتها، ذات خصوصية ما، ليس صعبا تبين عناصرها والعوامل التي ساهمت في تكوينها. وقد قام الدارسون والباحثون بمقاربات عدة في سياق البحث والتنقيب عما يميز هذه الحياة من جوانب مختلفة، غير أن معظم هذه الدراسات والبحوث قام باستقصاء المكتوب والاعتماد على الكتب المتوافرة، ومن هنا نشأت فكرة تقديم الرواية الشفوية عن الحياة الثقافية في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين عموما، وعشية النكبة خصوصا. وفي سبيل كتابة هذه الرواية، بدأ البحث عمّن تبقى من "أبطال" وشخوص الرواية، ولم تكن المهمة سهلة، بل إن صعوباتها لم تكن قليلة. فقد كان مرور خمسين عاما على الحدث (النكبة)، ومرور أكثر من خمسين على الوقائع التي سبقته، كفيلا بخلق إشكالات كثيرة في "نبش" ذاكرة تلك المرحلة أو ذاكرة أبطالها الذين تمكنا من الالتقاء بهم.

كانت المقاربة هذه تسعى إلى لملمة عناصر "الرواية" من أبطالها. وكانت العناصر الأساسية للرواية هي الشعر والإعلام عموما (الصحافة والإذاعة) والتعليم... الخ، وكان الهاجس هو معرفة دور الثقافة والمثقفين على صعيد صناعة الحدث حينا، وعلى صعيد مواجهة الوقائع في أغلبية الأحيان. كما جرى التساؤل عن الدور الثقافي/ السياسي للأحزاب والقوى والتيارات السائدة آنذاك.

شملت الجولة عددا من رجال الأدب والإعلام والتربية والتعليم، ممن كان لهم مساهمة في نسج خيوط الحياة الثقافية، فكانوا - إلى كونهم شهودا - من صنّاع الحالة، ومن معايشيها ومن نقادها أيضا.. كان هاجسنا أن يجيب الشاهد/ البطل عن أسئلة محددة تتعلق بالأحداث الثقافية البارزة، وبعوامل وظروف أحاطت العملية الثقافية، ومظاهر ونشاطات هذه العملية، ودور الثقافة والمثقفين (الأدب والاعلام والفنون والمراكز الثقافية وغيرها..) في إدارة وتوجيه الصراع العربي الصهيوني والتوعية على مخاطر المشروع الصهيوني.. ولكن الحوار لم

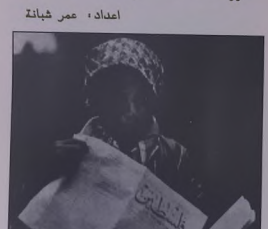

يائع صحف. حوالى عام ١٩٢٥.

يكن ليستقيم على سوية واحدة مع جميع المساهمين في هذا الملف، فكان يذهب مع كل "شاهد" في اتجاه اهتماماته الأساسية، من دون أن يغفل الهاجس الأول والأمثلة الرئيسة.

أما ترتيب الشهادات، فقد جرى بناء على اجتهاد لتقدير مدى شمولية الشهادة وما اشتملت عليه عناصر "الرواية" المطلوب سردها. فهل أصبنا؟!

عبد الرحمن الكيالي: مساهمة الشعر الفلسطيني كانت قاصرة

كانت بداية الرحلة الاتصال بالدكتور الشاعر والباحث عبد الرحمن الكيالي. ففي شهر شباط (١٩٩٨)، وكان قد حل عيد الفطر، اتصلت بالدكتور من (أجل المعايدة) أولا، ولترتيب لقاء تسجيل شهادته، ثانيا، التي طالما تحدثت معه حولها، منذ عامين تقريبا، وكان - وفي كل مرة - يبدي الاستعداد التام للحوار والشهادة في حال تحسن صحته، ولكن ظروفه الصحية لم تكن تزداد إلا سوءا. وفي هذه المرة كانت حاله، كما أخبرتني ابنته، قد تدهورت (إلى حد الغيبوبة)، وجرى تأجيل اللقاء إلى زيارتي التالية لعمان، التي جاءت بعد شهرين، حيث وصلت في شهر نيسان، ولكن، قبل أن اتصل ببيته، فوجئت بالصحف الأردنية تحمل نعيه وبضع كتابات عن أصدقائه عن رحيله ومسيرة حياته ونضاله.

ولما كنت أمّوّل الكثير على شهادة الدكتور "الكيالي"، كان لا بد من البديل (مع الإدراك بأنه ليس في أهمية الأصل)، فما كان في الإمكان سوى العودة إلى كتابه "الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين"، الذي وجدت فيه مرجعا أساسيا في التوثيق لحال الشعر الفلسطيني خصوصا، والثقافة عموما، في المرحلة الممتدة منذ بدايات القرن وحتى وقوع الكارثة (النكبة). فكانت "الشهادة" المستلة من الكتاب بمثابة إغناء لما قدمنا من جهة، ومحاولة متواضعة لتكريم الراحل من خلال تقديمها، لتكون فاتحة لهذا البحث من جهة ثانية.

رغم أن دراسة الدكتور "الكيالي" تعالج "الشعر العربي الفلسطيني في فجره زلزال النكبة"، وهذا أمر خارج اهتمام بحثنا، فإن في دراسته معالجة عالية القيمة لجوانب من الحياة الثقافية في فلسطين عشية النكبة، وخلال مراحل هذه النكبة التي لم تبدأ منذ ١٥ أيار ١٩٤٨، وانما تعود جذورها إلى ما قبل ذلك بكثير، وتحديدا إلى فترة الانتداب البريطاني على فلسطين - الفترة التي شهدت خيوط المؤامرة وتفاصيلها، منذ وعد بلفور، ومرورا بأشكال القمع والقهر والتهويد، وانتهاء بتسليم البلاد لليهود وإنهاء الانتداب، وإعلان قيام الكيان الصهيوني. وفترة الانتداب هذه كانت "مرحلة (الصراع الوطني الفلسطيني) المقاوم لغزو الصهيونية تحت حماية الاستعمار". وان ما قيل من الشعر الفلسطيني في هذا الموضوع، خلال فترة الانتداب، هو الأرض الصلبة التي نهض عليها شعر النكبة العامة بعد الكارثة. ولا بد من اتخاذه قاعدة للدراسة وبناء تحتياً لها"(١)ص١٦.

هذا في ما يخص دراسة الدكتور "الكيالي"، أمّا مجالنا فهو - إذ يفيد من معطيات شتى - يحاول ان يأخذ من هذه الدراسة كل ما ينبض بالحياة ويروح الحدث التي سوف نسلّطها من هذه الدراسة، ومن أجل إدراك "الوضع" الثقافي عشية النكبة، ذهبنا - مع الدكتور "الكيالي" - في رحلة قصيرة، للتعرف إلى الحياة الثقافية في فلسطين منذ بدايات هذا القرن (العشرين)، كي نرى إلى عوامل وعناصر هذه "الحياة" وتطورها، تحولاتها الأساسية. نرى إلى التعليم والصحافة والأحزاب والجمعيات والنوادي، فالتعليم الذي ظل متخلفا في العهد العثماني، لجهة قلة المدارس، أو لجهة انتشار ظاهرة الكتاتيب*، وتطور في عهد الانتداب البريطاني، إذ جرى بناء المدارس وتشجيع العلم، كما تم إحداث معاهد متوسطة، و... لكن هذا التطور - التطوير - جرى تقنينه (بل قوننته) وتوجيهه ليخدم سياسات حكومة الانتداب وأهدافها. يقول الدكتور "الكيالي": "كان النظام التعليمي في فلسطين مستمدا من النظام المصري المأخوذ من التجربة البريطانية في الهند. وكانت هذه التجربة تعنى بتربية فئة مختارة لخدمة الاستعمار، فتكوّنها تكوينا فكريا يرتبط به مصلحيا"...ص١٧. اما الصحافة والأحزاب والجمعيات والنوادي، فكان تشجيع حكومة الانتداب لها محكوما بأهداف سياسية مهمة، منها، "تعميق الخلافات الطائفية وامتصاص نقمة الشبان المثقفين، وإتاحة الفرص لزرع الخلافات وبذر الخصومات واستكشاف العناصر الوطنية الصلبة وتطويقها. مع الحرص الشديد على سير الحركة الثقافية العامة طيلة حياة الانتداب ضمن الخطة المرسومة لها في حدود التوجيه الأدبي الخالص، والابتعاد عن الثقافة العلمية والتفكير العلمي"ص١٥.

كان هذا ضمن التقويم العام. أما تخصيص دور الشعر والشعراء في الصراع، كما ورد في كتاب الدكتور الكيالي، فهو شديد التفصيل. وفي هذا المجال نجد ان الشعر العربي في فلسطين قد أشغل بقضية التحرر من الحكم التركي منذ نهايات القرن التاسع عشر. وفي عام ١٩١٠ كتب **إسعاف النشاشيبي** منبهاً إلى ضرورة عدم بيع الأرض والأوطان "لقوم دخلاء"ص٧٠. فكان هذا بداية عهد جديد للشعر، إذ إن الشعراء تحولوا إلى التعمير عن الصراع مع الانتداب والصهيونية منذ إعلان وعد بلفور. وظل الشعر يعبر عن السخط تجاه "الوعد" منذ إعلانه حتى ما بعد النكبة. فبعد "الوعد" بشهور قليلة (أي في ١٩١٨/٤/٢٧) جرى الاحتفال بوضع الحجر الأساس للجامعة العبرية، كمؤشر ثان من علامات بدء الصراع. وكان الشاعر (اللبناني الأصل) **وديع البستاني**، هو الأسبق إلى التعبير عن "الغضب" وعن الاشمئزاز من مشاركة مفتي المسلمين في القدس ومطرانها الانجليكاني في ذلك الاحتفال"ص٨٠. وكان البستاني، أيضا، أول من - وربما الوحيد الذي - سجل مشاركة مفتي يافا في إلقاء أول سلة من العنب في مصنع للخمر انشيء في مستعمرة ريشون ليسيون :

يا مفتي الإسلام تحضرهمة
عند اليهود وما هديت تهودا
أنكرت دين محمد، ومحمداً
اليوم تعصرها وتشربها غداً..ص٨١

وكان **برهان الدين العبوشي** من بين الشعراء الذين نبهوا، مبكراً، إلى خطورة وعد بلفور وجدية الصهاينة في الاستيلاء على الأرض، وصور مخاطر الهجرة الصهيونية إلى فلسطين (انظر مسرحيته "**وطن الشهيد**).

ولم يكن **إبراهيم طوقان** ليتأخر عن التنبيه إلى خطورة الهجرة الصهيونية، والى الوسائل التي تتم بها، منبهاً - خصوصاً - إلى الجوازات المزورة التي تسهل دخول المهاجرين :

يهاجر ألف، ثم ألف مهرباً
ويدخل فيه سائحا غير آيب
والف جواز ثم الف وسيلة
لتسهيل ما يلقونه من مصاعب.. ص٨٨

ثم انه لا يتأخر في دعوة بني وطنه إلى اليقظة وبعث شعاع الأمل :

بني وطني! هل يقظة بعد رقدة
وهل من شعاع بين تلك الغياهب.. ص٨٨

وينقل **عبد الكريم الكرمي** الشعر من حال التنبيه إلى حال الدعوة إلى الثورة، فيخاطب "اخت صلاح الدين" :

خلي انتداب القوم أو إرشادهم
فالثورة الحمراء خير مرشد ص٩١

(١) الأرقام هنا تشير إلى صفحات كتاب **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، من إصدارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٥.

* والمقتصد التعليم فيهما على القراءة والكتابة مع التركيز على القرآن الكريم.

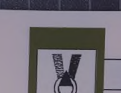

خاض الشعر معركة الشعب مع الأحزاب والزعماء،
فكان يدعو إلى الانفضاض عنها ويسخر
من بياناتها واجتماعاتها. ولعل تائية
إبراهيم طوقان من أقوى ما قيل في هذا المجال.

ويتجاوز (أبو سلمى) حال التحريض ضد الصهاينة والإنجليز، إلى حال التحريض ضد الزعامات المترفة التي تعمل على تضليل الشعب واستغلال تضحياته"ص١٠٠. وكذلك يفعل "العبوشي" إذ يهاجم الإقطاع بصراحة، ويدعو إلى سقوطه وتحرير الفلاح من رقه...، ويحمل على الطبقة الإقطاعية، فيحمّر استعبادها للفلاحين واستغلالها إياهم، على لسان فلاح فقير :

فليسقط الرقّ ولتسقط حكومته
ولتعلُ حرية الفلاح والفقراءص١٠١

ومن أشعار **عبد الرحيم محمود** نلمس غفلة الشعب وتخاذل القيادة، إذ لا يمكن أن تتحمل القيادة وحدها مسؤولية الهزيمة، وخصوصاً أن وراء الشعب تاريخا من الجهل والفقر. وكان هذان العاملان ماهما - إلى العوامل الأخرى - في الوصول إلى ما آلت إليه حال الشعب والبلاد.

وكان اسكندر الخوري البتجالي أدرك مبكرا حلم الصهيونية بإقامة "مملكة" اليهود في فلسطين، ولكن هذا "الحلم" يظل - كما يرى الشاعر - مجرد حلم، إذ يخاطبهم :

وان يكون لكم جيش ومملكة
فيها لجمع شتات الموسوّينا
هيهات تحقيق هذا الحلم ما ارتفعت
فوق المآذن أصوات المصليناص١٠٢

أي إن أحدا لم يكن يدرك تماما، مدى خطورة ما يجري، وإمكانية أن يتحقق، وهذا عامل آخر من عوامل النكبة. ولكن ما جدوى أن يدرك، إذا كانت الأحزاب التي يفترض انها هي المعوّل عليها أمر مصير البلاد والشعب، هي ذاتها الوجه التنظيمي المعبر عن مصالح الطبقات الشرية (الإقطاعية والبرجوازية العليا والمتوسطة)، وقد حملت تناقضاتها

وتناحرها الدائم على منافعها الخاصة ومنافع أنصارها، (...) حيث كانت الأحزاب العربية الفلسطينية في حرب داخلية دائمة مع بعضها (...)؟ وحين كانت الحركة الوطنية تتصاعد، وتشتد النقمة الشعبية على الحكومة بسبب تواطئها مع الصهيونية وحمايتها إياها، كانت الأحزاب تضطر الى التظاهر بالصلابة خداعاً ومسايرة للشعب، وحرصاً منها على الإمساك بزمام القيادة، ثم تعمل من الداخل على تهدئة الشعب وتبريد حرارته الوطنية، لتبقى جديرة بالمراكز القيادية في نظر الحكومة»[ص١٠٦]. وقد خاض الشعر معركة الشعب مع الأحزاب. فكان يدعو الى الانضباط عنها، وكان برهان الدين العبوشي قد وصم الأحزاب بالكفر وبالانشغال بالكراسي:

لقد كفرت أحزابنا فاكفروا بها
وقد عبثت خمر الهوى بصوابها
تلحّ علينا الحادثات بشرّها
وأحزابنا مشغولة بنصابها»[ص١٠١]

وسخر إبراهيم طوقان سخرية لاذعة من الأحزاب وبياناتها واجتماعاتها، فقدم هذه الصورة الكاريكاتورية:

أتم (المخلصون) للوطنية
انتم الحاملون عبء القضية
انتم (العاملون) من غير قول
بارك الله في الزنود القوية
و(بيان) منكم يعادل جيشاً
بمعدات زحفه الحربية
و(اجتماع) منكم يردّ علينا
غابر المجد من فتوح أميّة
في يدينا بقية من بلاد
فاستريحوا كي لا تطير البقية»[ص١٠٧]

وربما كانت (تائيته) من أقوى ما قيل في وصف الزعماء ورجالات الأحزاب، إذ يبلغ فيها مستوى التعبير عن غيظ الشعب والبلاد حد الصراخ في وجوههم أن "خلوا الطريق فلستم من رجالاتي". ولا يتورع "العبوشي" عن فضح ما يقترفه الزعماء من بيع الوطن "بعاهرة وتكسي". ويذهب طوقان أبعد من ذلك، فيشير الى الخائن الذي أحاطه الناس بالقداسة، وأوكلوا إليه "الحراسة"، لكنه لم يكن سوى "قناص الرئاسة". وهذا الخائن لا يجد ما يعطي عورته سوى "الجرائد". والنتيجة للمتأخرة»[ص١٠٩].

وفي توضيح دور الصحافة، بل في فضحه، يبدو "طوقان" الأكثر انتباهاً، فهو يرى كيف ترفع الصحافة أناساً خاملين ومغمورين الى سدة الزعامة، وكيف ان سمسار البلاد يظهر في الصحف وكأنه «الشهم الأغر»:

للحق سطر في صحافتنا وللتضليل نهر
قلّب صحائفها يطل عليك بهتان وهجر
هذا يقال له الزعيم كما يقال لذلك حر
فالمدح مثل القدح ضمنه لهم خضر وحمر»[ص١١٠]

ولعل في تصوير برهان الدين العبوشي لحال البلاد ما يلخص هذه الحال، حيث:

تغير وجه الأرض واشتط حكمها
وأقفر ناديها ومؤنسها ولّى
تزعمها الطاغوت فالحق واجم
وحاكمها باغ ومحكومها مولى
تلبد في أحشائها الهم والأسى
وامعن فيها فهي من غيظها حبلى»[ص١١٢]

وهذه الإشارة الأخيرة إلى ما تحمله الأرض في أحشائها، تؤكد أن البعض كان يرى نذر عاصفة ما، فالبعض يرى فيها أملا بولادة جديدة، والبعض الآخر يرى نذير الكارثة. إذ الأمسايي في الوطن "ضائعة والمنايا فيه لم تهن، كما يعبر **مطلق عبد الخالق**، الذي يحمّل الأمة كلها (في قصيدة أخرى) مسؤولية ما كان يجري، متعجباً "كيف تنقاد الأمة طوعاً "لمن يختانه القصد الصحيح" وكيف تخدعها البروق (...) فتحسب ومضها بيض الأماني "وكيف ترى الجزار خلاً ومن سكينه دمها سفيح"[ص١١٤].

أمام هذه الأحوال كلها، من تصدّع وطني وصراعات داخلية وترد في مستوى الوعي، من جانب، وهجوم الخطر الصهيوني بأبعاده، وبالدعم المقدم من حكومة الانتداب وغيرها من العوامل من جانب آخر، كانت تبدو علامات المستقبل في أسئلة الشعراء. في سؤال طوقان للإنجليز "أجلاء عن البلاد تريدون أم مُحقنا والإزالة؟" وفي سؤال عبد الرحيم محمود للأمير سعود الذي جاء إلى فلسطين العام ١٩٢٥:

المسجد الأقصى أجئت تزوره
أم جئت من قبل الضياع تُودّعُ؟
وغداً، وما أدناه، لا يبقى سوى
دمع لنا يهمي وسنّ نقرعه»[ص١١٩]

وسؤال **العبوشي** للشعب والامة حين يدعوهم إلى الاستيقاظ قبل أن يجري إجلاؤهم "عن بلاد فيها عظام الجدود، وما الذي سيقولونه، بعد أن ينزحوا

لم يعن الشعر الفلسطيني الثوري بمشكلات التخلف الحضاري والفقر والجهل والمرض ولم يهتم بالشؤون الاجتماعية، ولا بالثقافية والتعليم، وقصر تقصيراً كبيراً في تصوير وحشية التدابير الاستعمارية وجرائم الانكليز القمعية والارهابية.

"صغارا لصلاح الدين وخالد بن الوليد؟ فالذي "مسّ أندلساً سوف يمس هذه البلاد، إن لم يذد عنها أبناؤها!

كان هذا دور الشعر في السنوات التي سبقت النكبة. أما في مرحلة النكبة نفسها التي "كان قرار التقسيم أول مظاهرها، فقد لعب الشعر دوراً هاماً في التحذير من مخاطره وبراعته البادية للعيان، في فوقف الشعراء يعبرون عن رفض "القرار" ويدعون إلى محاربته وإبطاله، ولا يرون أية إمكانية للتمرير. فكانت الدعوة إلى السلاح وسط ظروف صعبة يرى فيها الشاعر "العبوشي" الأعداء وقد نظموا أمورهم، بينما الشعب يذود "لا رأس يقود، ولكن ليس ثمة بد من اقتداء الأوطان "مهما غلا الدم". ظروف يدعو فيها "أبو سلمى" الشعب أن يقرر مصيره بنفسه وان لا يتركه لمن "يبصمون على القرار".

ومع بدء الهجمات الصهيونية على يافا، يدعو شاعر المدينة **محمود الحوت** أهله للدفاع عنها ضد الصهاينة الذين لا يفهمون سوى "لغة النار":

فابعثوها جهنماً في ضواحي
قلعة لن تكون يوما سجينه»[ص٢١٠]

ويتابع الشعر رصد الهجمات والمذابح والمعارك، من دير ياسين إلى بدء سقوط المدن العربية (حيفا، صفد، يافا، ...الخ)، حتى الهدنة الأولى التي عدها الشعب خيانة من "رؤوس العرب" كما عبر الشاعر "العبوشي" ورأى فيها **محمد العدناني**" نقمة" على العرب "أضاعوا بها ما شيّدوا بالجماجم".

ثم جاء سقوط اللد والرملة بعد المقاومة الشعبية العنيفة التي استمرت حتى بعد انسحاب حامياتها الموكولة إلى الجيش الأردني.

وتابع الشعر، باندهاش وذهول انسحاب الجيوش العربية، التي أوحت للشعب الفلسطيني بأنها هي - لا هو - من سيحرر فلسطين من الصهاينة "ويل العصابات منا حين نأتيها، كما يسخر محمود الحوت. ولكن "العبوشي" كان واثقا من ان قائد الجيش الذي هو "غريب ظاهر الحقد" كان قد أتى لينفذ التقسيم في الأقصى وفي المهد» (الإشارة إلى كلوب باشا قائد الجيش العربي الأردني). ثم كانت الهدنة الثانية التي رأى فيها الشعراء ضياع فلسطين، حتى ان العدناني يخاطب الزعماء العرب:

يا رعاديد يا غنم
غادروا هيئة الأمم
كلكم فوق عرشه
يجلس الآن كالصنم»[ص٢٢٠]

وفي خلاصة تقويمه لدور الشعر يقول الدكتور الكيالي "إن الشعر الفلسطيني الثوري لم يعن كثيراً بمشكلات هامة لها شأنها في المعركة، كالتخلف الحضاري والفقر والجهل والمرض، ولم يهتم كثيراً بالشؤون الاجتماعية كقضايا المرأة والعمال والفلاحين، ولا بالثقافة والتعليم...، ويضيف"إن هذا الشعر قصّر تقصيراً كبيراً في تصوير وحشية التدابير الاستعمارية، وجرائم الإنجليز القمعية الإرهابية...".

وهكذا نجد أن الشعراء، وهم الأكثر وعياً ومشاركة، لم تكن مساهمتهم في الحياة الثقافية عموماً، والسياسية خصوصاً، وفي الصراع على هذا النحو أكثر خصوصية، على المستوى المطلوب من هذه الفئة من المثقفين.

بعد هذه الجولة في كتاب الدكتور "الكيالي" كانت جولة الشهادات الحية، عبر لقاءات مباشرة مع مثقفين ذوي مشارب واهتمامات متعددة. ورغم العوامل المحيطة بمجمع هذه المادة، الا ان ما تجمع يشكل صورة، وإن تكن أولية وغير دقيقة تماماً، لحياة الثقافية والسياسية يمكن الإفادة منها في تطور أبحاث ميدانية حول الموضوع.

نقل عبد الكريم الكرمي الشعر من حال التنبيه الى حال الدعوة إلى الثورة والتحريض ضد الزعامات المترفة.

حسن الكرمي: المثقفين لم يقودوا الثورة

الاتصال (الحي) الأول، كان مع شيخ (مَن تبقّى) من مثقفي فلسطين سناً ومكانة، الأستاذ حسن الكرمي[1].

اتجهت إلى بيته خالي الذهن من صورته، فأفاجأ بصورة الشيخ في روح وتوثّب الشباب، في صوته المرحّب على الباب، ثم في إصراره على جلب القهوة وتقديمها بيده، ثم في صفاء ذاكرته ويقظة عقله وتفتح وعيه وحماسته للحديث، فكانت سلاسة التنقل من نقطة إلى أخرى تشجّع على طلب المزيد.

بدأ الأستاذ "الكرمي" بتقسيم التيارات الفاعلة في الحياة الثقافية إلى اتّجاهات ثلاثة: **عروبي، ويساري، ويهودي.**

في الاتجاه الأول، كان ثمة حركة ثقافية، لكنها قائمة على الأشخاص، وخصوصاً على الشعراء أمثال إبراهيم طوقان وجلال زريق وأبو سلمى (عبد الكريم الكرمي)، وكانت بيوت الأدباء والمثقفين أماكن للتجمع والندوات واللقاءات الأسبوعية، كما هو حال بيت **خليل السكاكيني** وبيت **إسعاف النشاشيبي**، في ما عدا ذلك، كانت النوادي والصحف هي أبرز عناصر الحركة الثقافية. من أهم الصحف التي كنا نطالعها **فلسطين*** و**الدفاع*** و**الجامعة الإسلامية*** وهذه الصحف كانت منابر للأدباء ينشرون على صفحاتها إبداعاتهم وآراءهم.

ومن النوادي كان النادي الارثوذكسي في القدس، وجمعية الشبان المسيحيين (YMCA) في القدس أيضاً. وفي هذه الجمعية حضرتُ محاضرة للأمير **أسطاس الكرملي**. وهو عالم كبير، بدأها ببيت شعر:

وابن اللبون اذا ما لزّ في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

ولا أذكر من المحاضرة شيئاً.

وفي **روضة المعارف** التي كانت تديرها هيئة إسلامية يشرف عليها الحاج أمين الحسيني، حضرت محاضرة للأستاذ **أحمد زكي باشا** تحدّث فيها عن شؤون إسلامية، وكان عدد من الرهبان يحضرها، ثم أخذوا ينافشونه في نهايتها.

من العوامل المهمة في الحياة الثقافية كان افتتاح الإذاعة الفلسطينية، إذ فتحت الباب للأدباء من العالم العربي. وكان وجود إبراهيم طوقان رئيساً للقسم الأدبي عاملاً لاستقطاب الأدباء المحليين والعرب (في الواقع ان طوقان كان رئيساً للقسم العربي كلّه).

في الاتجاه اليساري، كان دور الشيوعيين بارزاً.

خاض المثقفون اليساريون معارك سياسية/ ثقافية ضد الأدباء ذوي الاتجاه الأدبي الصرف!

فقد خاض المثقفون اليساريون معارك سياسية/ ثقافية ضد الأدباء ذوي الاتجاه الأدبي الصرف. فكان **إميل توما وإميل حبيبي وخليل البديري** يخوضون هذه المعارك على صفحات مجلة **الغد*****. إذ كانوا سياسيين اكثر منهم أدباء، على العكس من إبراهيم طوقان الذي كان شاعراً فقط. أما عبد الرحيم محمود و"أبو سلمى" فكانا شاعرين قريبين من السياسة.

في الاتجاه الثالث، كان اليهود قد أسسوا حزب "بريت شالوم" (بريد السلام) وكان لهم ناد يدعون إليه أدباء عربا للحوار والتفاهم، ولكنه لم يكن فاعلاً.

ومن الأركان الأساسية في الحركة الثقافية كان **مقهى البيكاديللي**، في شارع ماميلا (مأمن الله). في القدس، فقد كان مجمعاً للأدباء والسياسيين، وكانت تختلط فيه فئات، وتختلط أحاديث السياسة والأدب واللغة ولم يكن له صفة خاصة.

أستطيع القول إن الحركة الأدبية كانت معزولة عن الحركة السياسية. فقد كان الشعر مشغولاً بالبكاء على الماضي أو على ما يجري في الحاضر، والسياسيون كذلك، ولم يكن لدى الشعراء والسياسيين رؤية للمستقبل وكيف ينبغي مواجهة الحاضر - الصراع العربي الصهيوني، خصوصاً، وبالقضايا الأخرى عموماً.

في قضية الصراع كان الدور الأساسي لليساريين، أما **الإسلاميون** فلم يكونوا بارزين، لأن المجلس الإسلامي هو الذي كان مهيمناً.

ومن جهة اليساريين، فهم كانوا يناضلون فعلاً، خصوصاً من خلال الحزب الذي كان يملك جريدة **الاتحاد****** في حيفا ومجلة **الغد** في بيت لحم. لكن هؤلاء كانوا يوجهون من الخارج، وكانت أفكارهم غير مبنية على الواقع، واقع البلاد، بل كانت عالية

---

(١) من مواليد ١٩٠٨، تربوي، عمل مفتشاً في دائرة المعارف منذ الثلاثينيات، وكان سكرتيراً للمعلمات العلمية في حكومة فلسطين (الانتدابية) ومؤلف كتب وقواميس لغوية شهيرة.

* صدرت الصحف الثلاث في يافا، اصدر الأولى يوسف العيسى عام ١٩١١، والثانية أصدرها إبراهيم الشنطي عام ١٩٢٤، والأخيرة أصدرها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي عام ١٩٢٧.

المعلومات عن جميع الصحف والمجلات الوارد ذكرها في المتن من كتاب أحمد خليل العقاد: **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين**.

** البيت لجرير، يمدح نفسه ويهجو عبدي بن الرقاع العاملي... انظر: **طبقات فحول الشعراء**، ج١، ص ٣٨٥.

*** مجلة **الغد** صدرت في بيت لحم عن رابطة الطلبة العرب عام ١٩٢٧، من أبرز محرريها عبد الله البندك.

**** جريدة **الاتحاد** أصدرها في حيفا كل من أميل حبيبي وإميل توما عام ١٩٤٥، وصدرت بثلاث لغات: العربية، والإنكليزية، والفرنسية.

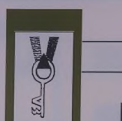

الأستاذ حسن الكرمي

اكثر من كونها محلية، فكان كنه القضية غائبا عن طروحاتهم، وكان هم الجريدة والمجلة، أن تبرز، كونها تمثل جهة عالمية (شيوعية) في مواجهة عالمية جبهة أخرى (رأسمالية)، لكن قضيتنا كانت شبه غائبة، ولم يكن لدى المثقفين فكرة واضحة عنها.

الشعراء والمثقفون عموماً كانوا يدركون الخطر الصهيوني، لكنهم كانوا يكتفون بوصف الواقع ولا يقدمون رؤية لما يجب عمله. للحق. كان عملهم ردات فعل على ما يمارسه الإنجليز واليهود.

وكذلك كانت الإذاعة، فهي حكومية، ولم تكن تستطيع الخوض في شؤون الصراع. وفي رأيي أن القضاء الهم الذي كان مشلولاً هو قطاع المعلمين والتلاميذ. كان ممنوعاً عليهم الانتماء إلى الأحزاب والقيام بالتظاهرات.

عموماً، فالمثقفون عندنا لم يقودوا الثورة مثلما حدث في الثورة الفرنسية التي قامت على أكتاف فلاسفة، وكان لها مبدأ، أو مثّل الثورة الشيوعية. في ثورتنا، كان اتجاه عام ضد الصهيونية والاستعمار، لكن المبدأ كان يضيع في المهاترات الحزبية والخلافات الداخلية، وخصوصاً بين الجلسيين (الحسيني) والنشاشيبي. طبعاً اعتقد أن مشاركة المثقفين لم تكن مبدأية، بل كانت حماسية وتقوم على المتابعة الآنية للأحداث، وذلك لأنه لم تكن لكثير منا خلفية سياسية محددة. لم نعترك في الحركات السياسية، وكانت الاعتبارات الدينية والعائلية (الحمائل والعشائر) هي التي تتحكم بقدر كبير من تحركنا، وتتحكم بالاعتبارات الوطنية إلى حد كبير.

كان التخلف الاجتماعي - الثقافي بسبب هذه النظرة الضيقة والرؤيا المحدودة. فأثرت في حياتنا الثقافية والسياسية.

في العامين ١٩٤٧-١٩٤٨ كنت لا أزال في دائرة المعارف، وكنت أيضاً أقدم موضوعات أدبية في إذاعتي **الشرق الأدنى** و**فلسطين**. لا علاقة لموضوعاتي بالسياسة. كان انصالي بالحركة الثقافية من طريق التعليم ومن خلال وظيفتي كمفتش. كان دوري يقوم على أساس تخريج جيل من المتعلمين الواعين. فقد كنت ممن يقومون باختبار طلاب المدرسة العربية والكلية الرشيدية، فكان عليّ اختيار أذكى الطلاب للدراسة في هاتين الكليتين. وبصفتي سكرتير لجنة البعثات العلمية، كان عليّ اختيار من يصلحون للبعثات إلى بريطانيا، في التخصصات كافة. كان هدفنا من التعامل مع حكومة الانتداب أن نجعل **الكلية العربية** جامعة تضاهي **الجامعة العبرية**، لكن إمكانياتنا كانت محدودة، وكان المفروض أن تصبح جامعة عام ١٩٥١، إذ كان طلابها يقطعون المترك والانترميديات.

اعتقد أن نظام التعليم كان له اثر فعال في خلق جيل من المثقفين انتشروا بعد النكبة في أنحاء العالم، وفي العالم العربي، وأفادوه.

في دائرة المعارف، كانت الإدارة العربية مستقلة، جميع العاملين في القسم العربي كانوا من العرب عدا اثنين من الانجليز في الإدارة. اليهود كان لهم أيضاً قسم مستقل، بالنسبة إلى التعليم في الكلية العربية، صحيح انه كان يجري التوجيه نحو التعليم البحت، وقد كان هذا مفيداً جداً، لأنه - كما أعتقد - لا يجوز تشتيت الطالب بين العلم والسياسة. لا بأس من المشاركة السياسية، ولكني كنت أفضل التركيز على العلم، لذلك فقد تخرج لدينا أكاديميون تعلموا وعلّموا في جامعات العالم.

أعود فأؤكد أن ما كان يهمني هو نظام التعليم الذي اتبعناه. صحيح انه كان يمنع المشاركة السياسية، لكن كثيرين كانوا يشاركون ولا تجري معاقبتهم. مخالص عمرو كان شيوعيا معروفاً وناشطاً، ولم يتم عزله. بعض المدارس الثانوية (في يافا مثلاً) كانت تخرج احتجاجاً. "أبو سلمى" كان معلماً حين كتب قصيدته الشهيرة:

جبل المكبّر لن تلين قناتنا
حتى نهدّم فوقك الباستيلا*

---

* راجع: **الشاعر أبو سلمى أديبا وانسانا**، لمؤلفه مصطفى محمد الغباري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بصفتي سكرتير لجنة البعثات العلمية، كان هدفنا من التعامل مع حكومة الانتداب أن نجعل الكلية العربية جامعة تضاهي الجامعة العبرية.

وقد نشرها له «**المزانيق**» في مصر. وحين شاعت بين الناس تم عزله من التعليم سنة ١٩٣٩. ومن انطباعاتي الخاصة، خلال جولاتي على المدن(الناصرة، حيفا، عكا، نابلس)، حين كنت مفتشا إداريا أقوم بشرح طبيعة امتحانات المعلمين، ان حكومة الانتداب لم تكن تعاف على الرأي، بل على العمل. كانت تحدث اجتماعات سرية، ولم تكن تتدخل. أظن أنها لم تكن تقسو إلا في حالات التحريض المباشر.

أنا بقيت في القدس حتى نيسان ١٩٤٨، ثم خرجت منها كي أوصل عائلتي إلى دمشق وأعود، ولكن بعد أن أوصلتها وعدت إلى عمان، سقطت القدس. كنت أسكن قريبا من القسم اليهودي.

وعن علاقتي باليهود؛ كنت اعرف اثنين من (بريد السلام)، واحدا اسمه «بلوم» والثاني يشعيا. بلوم تعلم في الإسكندرية وعين في ما بعد وزيرا للمعارف، وعندما سقطت القدس عين «يشعيا» (الذي نشأ في القدس) حاكما عليها. علاقتي معهما كانت عادية في مجال التعليم. رئيس القسم العبري في إدارة التعليم (بنتويش) كانت بيني وبينه مناقشات حتى الشهور الأخيرة. واذكر عددا من اليهود في القسم جاءوا إلى بيتي (في القطمون) ــ حين كان رومل يقترب من الإسكندرية ــ خائفين ويسألونني كيف للمرء أن يعلن إسلامه!

الجامعة العبرية.. كنت اعرف أساتذة فيها. اعتقد أنها في البداية، لم تكن تتدخل في السياسة، فقط كانت تعمل على تعليم اليهود. وكنت، بصفتي في المعارف، اجتمع مع أساتذة منهم ولا اشعر بالعداء - لا من جهتي ولا من جهتهم. حتى ان رئيس الجامعة (كالفاريسكي) كتب كتابا يدعو فيه للاتفاق مع العرب. وظلت الأمور هكذا حتى العام ١٩٤٥ تقريبا، وعلى اثر هجوم عربي على حافلة لأساتذة الجامعة، بدأت الحكومة بوضع حماية لهم، وكانت بداية احتدام الصراع.

في هذه الفترة، وفي ظل الوضع العسكري- الحوادث والصدامات واطلاق النار- سكنت الحركة الثقافية. اذكر حين دعي «**العقاد**» و«**المازني**» إلى الإذاعة، وكان معهما عازف الكمنجة اليهودي العربي كذا الشو* وفخري النشاشيبي نائب رئيس بلدية القدس، وكان يصحبهم إلى الإذاعة، فجرى إطلاق نار وكان المقصود فخري لأنه معارض للحاج أمين، فهرب الجميع بعد أن انبطحوا على الأرض حتى انتهى إطلاق النار، وعادوا إلى فندق الملك داود.

لم يكن هناك مسرح مدرسي. فقط اذكر أنني شاركت، وأنا معلم في الكلية الإنجليزية، في تمثيلية بعنوان "لولا المحامي" قمت فيها بدور المحامي.

النشاطات الثقافية لم تكن ممنوعة في الكلية العربية أو في المدارس. فقد كان هناك نشاط للشاعر **معروف الرصافي** وللأديب **إسعاف النشاشيبي**، ولكبار الموظفين. أنا قمت بالتحكيم في مسابقة شعرية في مدرسة بيرزيت. أما الكلية العربية تحديدا، فكان البرنامج مرهقا ولا يترك مجالا لنشاطات خارجية، وكانت المنافسة شديدة، والطالب الذي يسقط يطرد، وإذا نجح يحصل على منحة إلى بريطانيا.. فكانوا يخافون. وقد تخرج في الكلية العربية علماء كبار: **فطين بولس** واحد من كبار المتخصصين بالذرة في أمريكا؛ **حلمي سمارة** من كبار النابغين في الرياضيات، و**محمد فياض** كذلك.

كانت الاعتبارات الدينية والعائلية هي التي تتحكم بقدر كبير من تحركنا السياسي، وتتحكم بالاعتبارات الوطنية الى حد كبير.

أود الإشارة إلى أن الوضع في القدس كان مخيفاً، ولم يكن الإرهاب اليهودي ضد العرب هو وحده المخيف، بل الإرهاب العربي ضد العرب؛ بين الحزبين الرئيسين، خصوصاً حين صارت الهيمنة للحسيني وبدأت موجة الاغتيالات.

---

* هو سامي الشوا. انظر نهاية هذه الشهادة مع الدكتور محمد فياض.

ولم نكن انتهينا من تسجيل الشهادة حين قرع الجرس. فقام الأستاذ "كرمي" إلى الباب، وهو يردد اسم الدكتور **محمد فياض** إذ كان على موعد معه، فدخل الرجل، ولم يكد يجلس ويعمرف موضوع حوارنا حتى اخذ يتدخل فيه، وكان صوته قوياً، وأداؤه متماسكا، فسجلنا له هذه الشهادة التي طاولت جوانب من الحياة الثقافية والسياسية، كان شاهدا على مقاطع منها، وفاعلاً في مقاطع أخرى.

محمد فياض: كانت مصالح العائلات تتقدم على مصالح الوطن

كان الدكتور محمد فياض الشيخ سالم، مواليد ١٩٢٦، من قرية كرتيا ومن نشطاء الشبعيين، وأحد المحررين في مجلة "الفد". تركزت شهادته في تجربة اليساريين عموماً، والشيوعيين الفلسطينيين خصوصاً.

أنا كنت أمين عام رابطة المثقفين العرب*. ومما اذكره أن الحركة اليسارية في فلسطين بدأت عام ١٩٣٦، بعناصر جاءوا من لبنان، دعبا بعضهم إلى الاشتراكية (رئيف خوري وسليم خياطة) وبعضهم دعا إلى الحزب القومي السوري (الاجتماعي).

كانت مجلة **الطليعة** (كان يحررها عبد الله البندك) قد أخذت تتطور حين بدأ الإنجليز- عشية الحرب العالمية الثانية- يفتحون باب حرية الصحافة لمواجهة ألمانيا، وتشكلت في أثناء الحرب (عام ١٩٤٢) **جمعية مكافحة النازية**، فانتسب إليها اليساريون من أنحاء فلسطين كافة. في ما بعد، تحولت الجمعية إلى تنظيمات يسارية من ثلاثة فروع؛ **مؤتمر العمال العرب** في يافا، **عصبة التحرر** الوطني في حيفا، **ورابطة المثقفين العرب** في القدس.

هذه الرابطة استقطبت الطلاب والمعلمين والموظفين والمثقفين (أي كل من ليسوا عمالاً أو فلاحين)، وكانت هي الأنشط بين الجمعيات؛ تعقد الندوات والمؤتمرات، وتهتم بالمجالات وبالتعليم لجهة تطويره، وقد اتخذت من مجلة **الغد** منبراً لآراء أعضائها وأصدقائها. وكانت المجلة ثقافية سياسية اجتماعية (نصف شهرية) وناشطة، وذائعة في العالم العربي، إذ كان ينشر فيها **محمد مهدي الجواهري**، **ورئيف خوري**، **ومحمد مندور**..وأنا. وقد ظلت تصدر إلى ما قبل النكبة بشهور.

من جهة ثانية، كانت جريدة **الاتحاد** تعنى بشؤون العمال، وهي، مع **الغد**، قادت النضال السياسي في فلسطين. الحركة اليسارية في فلسطين ظلت موحدة حتى أوائل عام ١٩٤٧، حين بدأت **حركة اللجان الأميركية** وغيرها.

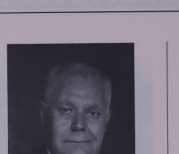

الأستاذ محمد فياض

وكانت التنظيمات الثلاثة تتفق على شعار **من اجل دولة فلسطينية ديمقراطية**. ولا مجال لدولة يهودية. بعد إعلان قرار التقسيم. وموافقة الاتحاد السوفياتي عليه، انقسم الشيوعيون إلى من يوافق على القرار (فؤاد نصار وإميل حبيبي خصوصاً) ومن يرفضونه (مخلص عمرو، إميل توما، والدكتور خليل البديري). وحين اندلع القتال انضم قسم كبير منا إلى الجهاد المقدس. أنا كنت مسؤولا عن جبل الطور. وهناك قسم تطوع مع جيش الانقاذ. وحين جاء المصريون تعاونا معهم.

في الفترة من ١٩٤٥-١٩٤٨ كان المثقفون قسمين؛ إما يساريين، وإما مع سلطة الانتداب.

في العام ١٩٤٦ شكلنا، **مفيد النشاشيبي** وأنا **الجبهة الوطنية العربية** في مواجهة **الهيئة العربية العليا**. وجمعنا حولنا ستة أحزاب، بما فيها الاستقلال ويعقوب العصين والنشاشيبي. وجاءنا مندوب من الجامعة العربية يتدخل كي توافق على نزول الحاج أمين الحسيني للانتخابات، ورفضنا.

وحتى عام ١٩٤٦ لم يكن للإسلاميين أي نشاط، حين دخلت **جمعية الإخوان المسلمين** من مصر إلى فلسطين، وكان ممثلوها يعملون مع المخابرات البريطانية بشكل واضح. كان من ابرز وجوههم شكري قطينة، ولم تكن مؤثرة، وكانت مجرد مجموعة صغيرة. الشيخ **سليمان الفاروقي** لم تكن رؤيته إسلامية بحتة، بل كان وطنياً ويدافع عن مصالح الفلسطينيين عموماً في جريدته **الجامعة الإسلامية**. وكان كثير من الشيوخ غير المؤطرين ينسقون معنا في التظاهرات والتحركات.

رابطة المثقفين العرب، التي كنت أمينها العام، كان لها فروع في كل مدن فلسطين. كنا فقراء طبعاً، كان مقرنا عبارة عن غرفة صغيرة، فكنا نعقد

---

* ربما كان يقصد رابطة الطليعة العرب، لأن مجلة **الفد** كانت - بحسب كتاب العقاد - تصدر عن هذه الرابطة. ولم أجد في أي مرجع ذكرا لرابطة المثقفين!

اجتماعاتنا في مقهى البيكاديللي.

من الذين كنا ننشر لهم في مجلة **الغد** الأديب **محمد أديب العامري وسعد جمعة**. لم يكن من المثقفين العرب من يكتب في الصراع العربي الصهيوني سوى اليساريين. رئيف خوري كان يأتي ليساهم معنا في مجلة **الغد** ويساعدنا على النشر في مجلة **الطريق**. الناقد المصري محمد مندور كان يزورنا في مقر المجلة.

بالنسبة إلى الإذاعة لم نكن نتعاون معها لأنها تمثل الحكومة ولها سياسة نرفضها. ومع ذلك فإن **عقيل هاشم** كان معنا في الرابطة وهو موظف في الإذاعة [إذاعة فلسطين].

كان الفلسطيني مقيدا باعتبارات عائلية، قبلية، وكانت مصالح العائلات تتقدم على مصلحة الوطن. وكل فكرة تتبناها عائلة وتشكل لها حزبا، وردا على هذه التشكيلات جاء مؤتمر الشباب [يعقوب الغصين]، ولكنه انتهى في العام ١٩٤٦ بثلاثة أعضاء.

الحركة الشيوعية والحزب القومي السوري كانا في أساس المعارضة، مع غلبة للشيوعيين. فالقومي السوري لم تكن له جماهير. وكان على رأسه **مصطفى رشيد** من جنين.

إجرى هذا الحديث في بيت الأستاذ **حسن الكرمي**، من دون ترتيب مسبق مع الأستاذ "فياض". وثمة خلاف ومناقشات لم يتم تسجيلها وخصوصا حول دور الشيوعيين و.. جرى الخلاف على "يهودية" عازف كمنجة، ولم يستطع أي من الكرمي وفياض أن يحسم الموضوع أو حتى أن يتذكر الاسم الأول للعازف الذي اتفقنا على أن اسمه الثاني هو "الشوا". والمقصود - غالبا - هو العازف **سامي الشوا**. فكان "الكرمي" يؤكد أن "الشوا" يهودي، فيما يؤكد "فياض" انه عربي. وبهذا الصدد يمكن مراجعة كتاب **عجاج نويهض** "ستون عاماً..." الفصل الخاص بتجربته مع الإذاعة الفلسطينية].

عصام حماد: كنت آخر من أذاع "هنا القدس" من عمّان!

بعد هذه الجولة في الحياة الأدبية والثقافية والسياسية في فلسطين، انتقلنا إلى حقل الإعلام المسموع، وإلى الإعلامي - الإذاعي البارز الأستاذ عصام حماد (من مواليد القدس، ١٩٢٥)، أحد أبرز المذيعين ومقدمي البرامج في إذاعة فلسطين منذ منتصف الأربعينيات حتى انتقال البث إلى عمان، فكان آخر من أعلن "هنا القدس" من عمان.

عن علاقته بالإذاعة ودوره ودور المثقفين فيها، ودورها في الحياة الثقافية، وفي الصراع العربي الصهيوني آنذاك، تحدث الأستاذ "حماد" بهياء واقتضاب شديدين:

بدأت علاقتي مع الإذاعة في وقت مبكر، حين كنت طالبا في **المدرسة الرشيدية**. كان معلم اللغة العربية، الشاعر **محمد العدناني** قد أخذنا إلى الإذاعة لنمثل تمثيليات إذاعية (لم أعد أذكر شيئا منها).

بعد ذلك تخرجت، وعيّنت موظفا صغيرا في دائرة ضريبة الدخل. وذات يوم (عام ١٩٤٢) جرت مسابقة لشعر على مستوى عربي، فشاركت بقصيدة عنوانها **الشرق والغرب يلتقيان** أعارض فيها مقولة "كبلنغ" الشهيرة، وقد أرسلتها باسم مستعار هو (كبلنغ) أيضا. فازت القصيدة بالمرتبة الثانية على المستوى العربي، بعد قصيدة **لمحمود علي طه**، وبالمرتبة الأولى على مستوى فلسطين، فاز **محيي الدين الحاج عيسى** ثانيا، **وصالح الخطيب** ثالثا - في فلسطين.

بعد فوز قصيدتي اتصل مدير القسم العربي في الإذاعة الأستاذ **عجاج نويهض** بحاكم اللواء (مستر بيل) وطلبني لإلقاء قصيدة في الإذاعة، وأعجب بإلقائي، فصار يدعوني للالتقاء مع الكتاب والشعراء العرب الذين تستضيفهم الإذاعة. كنت ما أزال شابا

كانت إذاعة فلسطين الوجه الثقافي للبلد،
عمل فيها كبار الشعراء والكتاب..
وكان اهتمام المستمعين كبيرا.

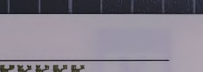

صغيرا أجلس بين كبار الكتاب: **العقاد، المازني، محمد كرد علي، الشيخ عبد القادر المغربي** (رئيس المجمع العلمي في سوريا). وكنت استمع إلى أحاديثهم السياسية والثقافية من دون مشاركة.

عام ١٩٤٣ عرض علي الأستاذ عجاج العمل مذيعا، لكن أخوي **ناظم وعادل** (وكانا ربيانني بعد استشهاد والدي على يد الإنجليز، حيث قتلوه في جامع الخضر عام ١٩٣٦)، وعمي **توفيق حماد** (كان نائب موسى الحسيني) رفضوا أن أعمل في الإذاعة لأننا ضد الإنجليز.

وفي العام ١٩٤٤ جاء عزمي النشاشيبي مديرا للإذاعة، وعين محمد أديب العامري نائبا له، وطلبا مني العمل، فوافقت وعينت في شهر كانون الأول/ ديسمبر مذيعا ومنتج برامج بديلا من إميل حبيبي.

كان سعيد العيسى مساعد "العامري" في القسم الأدبي، ثم صار رئيسا للقسم، كنا نقدم سبعة أحاديث أدبية على مدى الأسبوع، إضافة إلى برنامج أسبوعي خاص. وكانت هناك الزوايا المتخصصة بالمرأة وبالأطفال وبالزراعة.

كانت الإذاعة هي الوجه الثقافي للبلد. فقد عمل فيها كبار الشعراء والكتاب، كان إبراهيم طوقان رئيسا للقسم الأدبي فيها لفترة قبل أن يتركها بسبب المرض، أو مطرودا. وكان يحيى اللبابيدي رئيسا للقسم الفني. أما جبرا إبراهيم جبرا فكان يكتب لنا أحاديث أدبية ولا سيما عن الأدب الإنجليزي. وكان ممن يشاركون فيها بقصصهم عارف العزوني ووداد السكاكيني وسميرة عزام، وقدسية خورشيد ونجوى قعوار. وفي الشعر كان محمد العدناني وأبو سلمى.

أما الموظفون المتفرغون فأذكر منهم: **محمد أديب العامري، وراجي صهيون، وعلي مراد** (في الإنتاج وإخراج التمثيليات) **وعقيل هاشم** (إذاعة مدرسية) **وفاطمة البديري** (زوجتي كانت مسؤولة عن ركن المرأة منذ عام ١٩٤٦) **وهشام النشاشيبي** (مذيع فاشل) **وسعيد العيسى وسابيرو العيسى** (قسم

إثر مجزرة دير ياسين جاءنا بيان
عن المجزرة وكان رأيي أن
لا نذيعه لأنه سيعمل على ترويع الناس.

الأستاذ عصام حماد

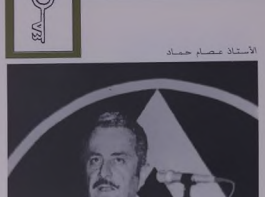

الأخبار) **وعباس حماد** (ابن عمي، قسم الأخبار)، وفي أواخر ١٩٤٧ جاءنا **موسى الدجاني** (مذيع)، وكان معنا **عبد الهادي عرفان وجورج دحبورة**.

كان هناك برنامج زراعي يقدمه **جمال حماد** و**عبد الرحيم خلف**. وكان أخي **خيري حماد** يتعاون بتقديم تعليق أسبوعي (ثقافي) ومراجعات للصحافة الأجنبية.

في باب الأحاديث الدينية كان **ضياء الدين الخطيب، ومحمد علي الجعبري، وسليمان الجعبري**. وفي شهر رمضان كان يأتينا من مصر مقرئون ومحدثون منهم **سعيد رمضان**. أما **سيد قطب** فقدم أحاديث أدبية، وكذلك **الرافعي**.

نزهة الخالدي كانت مذيعة ومقدمة أحاديث للأطفال. **وغفران شرابي** كانت تقدم أحاديث أدبية ونسوية.

ومن الأدباء كان **خليل بيدس** شبه موظف، إذ كان يقدم برنامجين في الأسبوع، الأول "خواطر اللغة" والثاني مخصص لأخطاء المذيعين اللغوية، إضافة إلى قصصه والقصص التي يترجمها عن الروسية.

وكان **خليل السكاكيني** يساهم بتقديم أحاديث ثقافية وادبية، وكذلك **قدري طوقان** الذي كانت له مساهمات عملية وأدبية.

طبعا كان الاهتمام من المستمعين كبيرا، فقد كانت المنبر الوحيد (كان الأستاذ عصام تنأسى أو تجاهل إذاعة الشرق الأدنى). وللحق فإن سلطة الانتداب لم تكن تتدخل في برامجنا، وكانت ثمة ديمقراطية. كان هناك بالتأكيد أثر لوجود اليهود في القسم العبري، وكانت مرجعيتهم الأولى والأخيرة هي الوكالة اليهودية، أما نحن فكنا بلا مرجعية تقريبا، سوى الهيئة العربية العليا التي هرب كل أعضائها ولم يبق منهم سوى **حسين الخالدي** (وكان معه **عبد الله الريماوي** وموظفة). وعلى سبيل المثال فقد حدث إشكال بعد مجزرة دير ياسين؛ جاءنا بيان عن المجزرة وكان رأيي أن لا نذيعه لأنه سيعمل على ترويع الناس ودفعهم إلى الهرب، لكن **عزمي النشاشيبي وحازم نسيبة** أصرا على إذاعته. فاقترحنا الاتصال بالهيئة العربية. فكان رأي الدكتور "الخالدي" أن نذيعه، ثم أصدر بيانا آخر.

بالنسبة إلى القسم العبري لم تكن تربطنا به علاقات مباشرة، كانت علاقة القسمين مع المدير العام (إدوين صموئيل). كان نائب رئيس القسم العبري هو (ويري ايبان، المعروف باسم آبا ايبان).

مرة واحدة طردت مساعد مدير هندسة الإذاعة اليهودية (Dirty Jew)، فشكاني إلى "إدوين" الذي بعث لي شبه تأنيب عبر مديرنا. كان هناك يهودي عراقي يدعى (إسحاق نيسان) يحاول التقرب مني، لكن لم تقم بيننا علاقة.

في القسم الأدبي قدمنا أشياء كثيرة. من أهم ما قدمته كان هناك عمل فولكلوري من الحواذث والقصص الشعبي. كانت تعاونني فيه ام مهدي (زوجتي) ومحمد أديب العامري ومصطفى ارشيد وفريد ارشيد ومحمد سليم الرشدان، حيث نأخذ القصص الشعبية ونحولها إلى الفصحى. وبعد أن قدمنا منها حلقات، جاءتني رسالة تخبرني أن هناك جمعية يهودية مهتمة بالأدب الشعبي وتريد الحصول على الحلقات، فأهملتها. فعادوا وطلبوها من المدير (ادوين) الذي طلبها بدوره من عزمي النشاشيبي فطلبها مني وقدمتها له. كان مضمونها ماديا، وقد جمعها **فايز الغول** في ما بعد في كتاب.

في الشهر الثاني أو الثالث من عام ١٩٤٨، احتل اليهود المسكوبية في القدس. فاقتربوا من مبنى الإذاعة. بعدما هرب الكثيرون، قررنا نقل الإذاعة إلى رام الله، وساعدنا الجيش الأردني في نقل الأجهزة والمعدات، فانتقلنا إلى عمارة البوليس في رام الله، ووصلنا البث ولم ننقطع عن إطلاق "هنا القدس" حتى في رام الله، كنت آخر من قال "هنا القدس من عمان". في الأيام الأخيرة التي سبقت خروج الانتداب البريطاني توقفت رواتبنا، وبقينا نعمل من دون رواتب إلى أن تسلمت حكومة الأردن

الوضع في الضفة الغربية.

مسلّم بسيسو: الصراع مع الصهاينة لم يبدأ عام ١٩٤٨

الأستاذ **مسلّم بسيسو** (من مواليد ١٩٢٦)، صحافي دخل الصحافة من باب توزيعها أولا، حين كان الشيخ **سليمان الفاروقي** يعمد إلى والد مسلّم ليساعده في توزيع جريدته **الجامعة الإسلامية**. فكان على مسلّم، الطفل، أن يحفظ عناوين (مانشيتات) ينادي بها. ومنذ الأربعينيات سيبدأ الفتى بالكتابة للصحف، سيكتب في **نداء الأرض وصوت الشعب*** **والاتحاد**، باسمه الصريح أو باسم مستعار. ثم سيعمل عام ١٩٤٨ مراسلاً حربياً في القدس ويافا لعدد من الصحف، منها **الأهرام** المصرية، ولوكالة **أسوشييتد برس** بسبب إجادته اللغة الإنجليزية وصداقته مع صحافيين ومراقبين أجانب. وبعد النكبة، في العام ١٩٥١، أسس جريدته المشاكسة **الحوادث** في الأردن، وظلت تتعرض لاشكالات مع الحكومة حتى إغلاقها بعد أربع سنوات.

بالنسبة إلى الأستاذ "بسيسو"، لم يبدأ الصراع مع الصهاينة عام ١٩٤٨، ولا مع قرار التقسيم، بل منذ بدأ الصهاينة أسس تحركهم في فلسطين للسيطرة عليها، فكان هم الصحافة والصحافيين -كما يؤكد- تعبئة الرأي العام، الذي كانت غالبيته من الفلاحين الذين كانت أرضهم، مصدر رزقهم، مهددة بالسلب لصالح الكيبوتزات، لمواجهة فكرة إقامة وطن قومي. كانت الوكالة اليهودية تسعى حثيثاً لتنفيذها.

كان وعينا دون الوعي المطلوب.. وثمة من كان يعتقد أننا نشترك مع اليهود في القتال ضد الانكليز لتحرير فلسطين!!

أمام هذا الوضع، كان التوجه في الصحافة نحو حماية الأرض، والتوعية على خطر الاستيطان.

* جريدة أسسها في يافا (١٩٢١) الاستاذ عيسى والاستاذ يوسف أبو العراج. توقفت عام ١٩٢٨، ثم عادت للصدور عام ١٩١٧، واستمرت حتى نهاية الانتداب.

لم يكن التنافس بين صحيفتي الجامعة الاسلامية والجامعة العربية على حساب القضايا الوطنية.

ومن جهتنا، يقول بسيسو، كنا نتحرك ضمن معطيات بدائية لا يحكمها الوعي بقدر ما تحكمها العواطف والحماسة والعشوائية. فقد كان وعينا دون الوعي المطلوب. فثمة من كان يعتقد أننا نشترك مع اليهود في القتال ضد الإنجليز لتحرير فلسطين. صحيح أننا في البداية كنا نرفع شعار "تحرير الأرض لكل من عليها من العرب واليهود"، الا أن هذا كان قبل الصدام مع اليهود، قبل أن يفتعلوا الصدامات ويبدأوا استفزاز الناس. لكن العلاقة مع اليهود تغيرت بالتدريج.

في مرحلة الصدامات هذه، لعبت الصحافة دوراً مهماً، ومما أذكره من المواد الأولى التي تبنتها لجريدة **الشعب*** قضية الاستيلاء على أراضي (الحليقات) في غزة لصالح شركة بترول عراقية حضرت عام ١٩٤٦ وقامت بإجراء تجارب لاستخراج النفط ووجدت احتمال استخراجه من (الحليقات)، فاستولت على الأرض بمساعدة السلطة الإنجليزية والقائمقام، وبأسعار زهيدة، فقمت بجمع المعلومات عن القضية وأثرتها من زاوية الاعتداء على حقوق المالكين والاستيلاء على أراضيهم بأثمان زهيدة.

بعد ذلك كتبت في جريدة **نداء الأرض** الأسبوعية (صدرت في يافا بدعم من الصندوق القومي الفلسطيني لتحجيم الخطر الصهيوني والحد من بيع الأراضي الفلسطينية) مقالات لكشف قضايا بيع الأراضي من قبل بعض الناس.

والقضية الثانية التي كنا نهتم بها هي الهجرة اليهودية، العلنية والسرية. فقد كنا نكشف للناس عمليات تسلل الزوارق التي تحمل المهاجرين، والهويات المزورة التي كانت تمنح لهم، وبمساعدة من المسؤولين العرب أحياناً.

وعلى الرغم مما كان سائداً من قلة الوعي ومن فردية وانتهازية، لعبت جميعها دورا في تفكيك الناس وضياع الأرض. وعلى الرغم من المنافسات بين الوجهاء والعائلات، الا انه كان ثمة من يتصدى ويقاوم.

كانت الصحافة ذات نفس وطني عموما، وكانت المنافسة بين الصحف ضمن الخط الوطني العام.

حتى التنافس بين **الجامعة الإسلامية** التي أصدرها الشيخ سليمان الفاروقي، و**الجامعة العربية** التي أصدرها الحاج أمين الحسيني، لم يكن على حساب القضايا الوطنية. الا ان الصراعات بين العائلات الكبيرة هي التي قادت إلى التفتيت، والفرز أيضا، وهذا ما أدى إلى عدم قيام قوة حقيقية موحدة.

في العام ١٩٤٨، انتقلت إلى القدس لأعمل مراسلاً حربياً، وكانت القدس مركزا مهماً للكتاب والصحافيين والمناضلين. وهناك التقيت محمد **حسنين هيكل** و**محمد البيلي** و**سامي الحكيم** و**زكريا جمعة**. وقد كلفني سامي الحكيم- حين أراد ان يعود إلى القاهرة - أن أكون مراسلاً لجريدة **الأهرام** المصرية، كما عملت في الوقت نفسه مراسلاً لوكالة أنباء الاسوشييتد برس من القدس لإجادتي اللغة الإنجليزية. وكنت أول من أذاع - عبر الوكالة - نبأ اغتيال الكونت برنادوت، إذ كنت أرافق قيادة الجيش العربي الأردني في منطقة الروضة/ القدس.

عموماً، كانت تغطيتنا للحوادث والمعارك عبارة عن نقل وقائع. الا أننا حتى في هذه المسألة كان وعينا دون الوعي المطلوب. فقد كنا نعتقد ان نقل الوقائع كما هي يفيد قضيتنا، فإذا هاجم اليهود موقعاً نقوم بنقل الخبر، ظناً بان لجان الهدنة يمكن ان تتدخل لصالحنا. وكنا نصاحب المراقبين الدوليين عسى ان يكتبوا تقارير في مصلحة قضيتنا، لكن ذلك كان وهماً.

كانت مهمتنا في القدس تغطية أنباء المعارك والصدامات وصد الهجمات عن أسوار القدس والمصادمات في باب النبي داود ومنطقة باب الخليل.

بالنسبة إلى الجيش العربي الأردني، لقد لعب دوراً في تطهير حارة اليهود منهم، الا انه لولا عبء المقاومة الشعبية ما كان ذلك ليتم. كانت المقاومة

* جريدة أسسها في يافا (١٩١٦) عدد من الضباط المثقف باسم شركة الصحافة الأهلية المحدودة، كان رئيس تحريرها ومحررها المسؤول الاستاذ فخري يوسف ابو هضبا ومكرتير التحرير عبد الغني الكردي.

آثار اذاعة خبر مجزرة دير ياسين بصوت المذيع راجي صهيون الرعب والهلع في صفوف الناس.

تضم متطوعين عرباً (مغاربة، لبنانيين، سوريين، وعراقيين) قاتلوا ببسالة لتخليص الحارة من يد اليهود. وفي القدس عملنا، عبد الله نعواس وأنا، معاً من أجل نشر الوعي ورفع المعنويات، وحشد الناس للمواجهات.

على الصعيد الثقافي، كانت تقام، منذ قرار التقسيم، نشاطات ثقافية وسياسية في أنحاء فلسطين كافة، في المدن والقرى. ففي تلك الفترة نشط حزب مؤتمر الشباب (كان يرئسه يعقوب الغصين) والحزب العربي، فكانت تقام مسرحيات للشعر والخطابة، وكان الشاعر **كمال ناصر** من ابرز الشعراء المساهمين في إلقاء قصائد حماسية. وكذلك الشاعر **مصباح العابودي**، **وسيف الدين زيد الكيلاني** الذي كان يلقي قصائد تحرض على عدم بيع الأراضي لليهود.

في العام ١٩٤٨ كان الناس يجلسون في المقاهي ويتداولون في ما يجري. كان لدينا في غزة **النادي القومي والنادي الرياضي**، وكانت تقام فيهما محاضرات وندوات تحريضية وتعبوية. ومن ابرز الذين سأهموا فيها **نمر المصري**، **منير الريس**، **فؤاد بسيسو** و**سعدي بسيسو** (وهذا الأخير مؤلف أول كتاب موثق عن الخطر الصهيوني فضح فيه إجراءات الاستيلاء على الأرض عام ١٩٤٥). وفي مناطق أخرى غير غزة، كان شعبنا ناشطون آخرون مثل **يعقوب الغصين** و**أحمد الشقيري** و**عوني عبد الهادي**.

وبالنسبة إلى دور الصحافة، فقد كان ينطوي على جوانب سلبية خصوصاً لجهة دفع الناس إلى الهرب من قراهم بمجرد سماع أنباء هجوم اليهود على قرى مجاورة. طبعاً لا يمكن القول إن الصحافة ساهمت عن قصد في "تطفيش" الناس... لكنها كانت تنشر الأخبار من دون أي تحليل أو تعليق. وهذا الدور قامت به بشكل أكبر الإذاعة، وقد أثارت بشاعة خبر مجزرة دير ياسين بصوت المذيع **راجي صهيون**، الرعب والهلع في صفوف الناس.

طبعاً، كان هناك صراع بين العرب واليهود في الصحافتين، حول قضايا الأرض وتقارير اللجان الدولية والحلول المطروحة.

في الصحافة الفلسطينية عموماً جرى رفض قرار التقسيم بسبب الاعتقاد بعروبة فلسطين كلها، مع الاعتراف ببقاء اليهود الذين كان عددهم محدوداً. وكان ثمة يهود من الذين جاءوا مبكراً يرفضون قرار التقسيم ويفضلون العيش معنا. ولكن بعد أن ظهرت قوتهم لم نعد نجد من يمكن التعايش معه.

الأخوان ياغي: الغضب الأساسي كان ضد حكومة الانتداب

في بيت الدكتور عبد الرحمن ياغي، الناقد وأستاذ كرسي الأدب الحديث في الجامعة الأردنية، جرى لقاء ضمّه وأخاه الأستاذ الدكتور هاشم ياغي، وهما - على التوالي - من مواليد ١٩٢١ و ١٩٢٤، وفي العام ١٩٤٨ كانا طالبين في جامعة القاهرة. لذلك كانت شهادتهما عن السنوات التي سبقت النكبة. ولما كان الدكتور عبد الرحمن اصدر كتاباً عن حياة الأدب الفلسطيني الحديث تناول فيه الحياة الثقافية والأدبية في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ (رسالة الدكتوراه) فقد كان يحسن علينا الإجابة على كثير من أسئلتنا، وكذلك كان يفعل الدكتور هاشم أيضاً. ولهذا سنختار من شهادة الأخوين ياغي (المشتركة) ابرز ما فيها من عناصر جديدة.

هناك عوامل أربعة، كانت تعد أساسية في الحياة الثقافية في فلسطين عشية النكبة، أولها، كان معرض الكتاب الفلسطيني الذي أقيم للمرة الاولى في نادي الاتحاد الارثوذكسي العربي في القدس عام ١٩٤٦، وقد اشرف على تنظيمه **اسحق موسى الحسيني**. العامل الثاني، كان يتمثل في صدور مجلة **الغد** وفاعليتها. والعامل الثالث، كان في الصحافة (**الدفاع** و**فلسطين** و**الاتحاد**) عموماً. العامل الرابع تمثل في مطالبة العرب باستقلال إدارة الثقافة

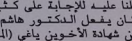

كان معرض الكتاب الفلسطيني أحد الأركان الأساسية في الحياة الثقافية في فلسطين عشية النكبة.

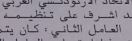

والتعليم عن **دائرة المعارف** أسوة بالحرية المعطاة لليهود.

في القرى، مثل قريتنا المسمية، لم يكن متاحاً متابعة التعليم، فكيف يمكن أن يوجد نشاط ثقافي؟ فذهبنا إلى مدرسة **المجدل الثانوية** وكان الأول على المدرسة تتاح له فرصة متابعة التعلم في الكلية العربية في القدس فحصلنا على هذه الفرصة بعد الثاني الثانوي.

النشاط الثقافي كان يتركز في يافا والقدس، وكنا من متابعي مجلة **الغد** لأنها كانت تنشر وعياً متقدماً، وفي مقابلها كانت تصدر مجلة **المنتدى*** بإشراف **عبد الرحمن بشناق**، وهي تابعة لإذاعة الشرق الأدنى، أي لحكومة الانتداب، وكانت صفيقتا **الدفاع** و**فلسطين** تنشران مقالات جيدة. أذكر (يقول د. هاشم) عندما تقرر صدور مجلة **الكاتب المصري** بإشراف طه حسين، كانت الجهة الممولة يهودية مصرية فكتبت الصحيفتان تنبهان طه حسين إلى أن ثمة محاولة لاستغلال اسمه لصالح المشاريع الصهيونية، فرد طه حسين بقول، (ترصدوا المجلة لتروا إن كانوا يستغلونني أم استغلهم. هذا مثل على الوعي السائد والخوف على الثقافة العربية عموماً.

وبرز مثل هذا الوعي عندما جاء لطفي السيد للمشاركة في وضع حجر الأساس للجامعة العبرية، فهاجمه الشعراء (وديع البستاني كان أفضلهم) والصحافة.

في العلاقة بين الأحزاب والقوى، لم تكن الصحف تحفل بالخلافات، كان الجميع يشعر بالخطر الواحد، وكانوا متعاونين تقريباً، والغضب الأساسي كان موجهاً ضد حكومة الانتداب بسبب معاملتها الخاصة لليهود، وكان الشيوعيون والتقدميون الأكثر امتعاضاً وتعبيراً عن ذلك، خصوصاً في مجلة **الغد**.

في يافا، كان مدير المدرسة **علي شعث** من النشطاء في النادي العربي، وفي فترة أخرى نشط **محمود سيف الدين الإيراني**، سواء على صعيد الحوار مع سلطة الانتداب وتقديم المطالب العربية، أو على صعيد تنظيم ندوات ومحاضرات، من هذه المحاضرات كانت محاضرة لـ توفيق الحكيم، وقد ثارت حوله مشكلة حين رفض أن ينزل في فندق في يافا (قال إنه ليس نظيفاً) ونزل في فندق في تل أبيب. قيل أيامها إنه فعل ذلك بتأثير صديقته اليهودية.

ومن المدعوّين كان مرة "**المازني**" ومرة "**العقاد**". وكان العقاد معروفاً بهجومه على قوات المحور، فجاء إلى فلسطين وتحدث عن الحرب العالمية والعرب، والتقى في القدس الوصي على العرش الهاشمي (عبد الإله). معظم ذكرياتنا كانت في الكلية العربية في القدس. ففي الكلية حضرنا مسرحيات لشكسبير (أوثيلو - عطيل) وغيرها.

كان للكلية نشاطات رياضية وثقافية وموسيقية، ولكن كان النظام التعليمي صارماً، فكان محرماً على الطالب حمل الجريدة، وإذا أخطأ وحمل الجريدة وشاهده الأستاذ عبد الرحمن بشناق (أستاذ اللغة الإنجليزية) فعقوبته كبيرة. كان معظم وقتنا في الدراسة. وكان التركيز على اللغة الإنجليزية كبيراً، فقرأنا ملاحم وقصائد **شكسبير** و**فيرجيل** و**وردزورث**، وكانوا يقيمون مسابقات شعرية. كان التعليم عبارة عن عملية تخزين معلومات كالكمبيوتر. وكان في البرنامج ثماني حصص للغة الإنجليزية. وكان الوعي السياسي - الفكري هزيلاً.

ومع ذلك كان لنا نشاط ثقافي وفكري مع الأستاذ **شفيق أبو غربية**، ونشاط عسكري مع الأستاذ **بهجت أبو غربية** مسؤول النشاط الرياضي. كان ذلك في **المدرسة الإبراهيمية** التي كنا ندرس فيها. كان بهجت يأخذنا خارج القدس ليدربنا على استعمال المسدس والبندقية والمتفجرات. وكان شديد الدقة والحذر. وحين كنا نرجع نجد منطقة باب الزاهرة مطوقة فيطمئنّنا "لا تخافوا، امشوا خلفي". ويعطي مسدسه بالطريوش، وحين يسأله الحاجز يقول لهم إنه يسكن هنا، ونمر من دون مشاكل. وفي إحدى المرات، كان شفيق ذاهباً إلى التدريب مع شخص متقاعد من الأمن العام، بعد التدريب وضع في جيبه إصبع الديناميت ومعه بطارية شبه خالصة، فانفجرت فيه وتوفي.

ناصر الدين الأسد كان من شلّتنا، ويسكن معنا. أحياناً كنا نعود ومعنا متفجرات ومرة أخفيناها في السدة ــ قرب سخان الماء!!

من ذكريات الكلية العربية، ذات يوم وجدت في الحمامات كتابات ضد الإنجليز، فجاء ضابط ودخل الكلية، وطلب تفتيش الطلاب، ثم طلب جمع دفاترنا ليقارن الخطوط، وجاء **احمد سامح** الخالدي مدير الكلية وجمع الدفاتر، وحين كان ذاهباً لتسليمها رآه المدير الإنجليزي (فاريل) فسأله عن الدفاتر، وحين أخبره بالقصة طلب منه إعادة الدفاتر إلى الطلاب، وبوخه، وقال له ان من حق الطلاب أن يعبروا عن رأيهم في من يحتل بلادهم ويبوتهم ومدرستهم، فكيف لا يكتبون؟ اترك لي أمر الضابط أنا أتفاهم معه.

* أصدرها في القدس مكتب المطبوعات بالاشتراك مع دار الإذاعة الفلسطينية (عام ١٩٤٠) شهرياً، ثم أسبوعياً، وقام على تحريرها الأستاذ عبد الرحمن بشناق.

في القاهرة، عام ١٩٤٨، حين حدثت النكبة، جمعوا الطلاب الفلسطينيين كي تشرف الجامعة العربية على شؤونهم. صرفوا لكل منا ستة جنيهات مصرية، وكنا ما نزال في إجازة.

إهناك كثير من التفاصيل حول الجمعيات والمدارس التبشيرية والشعر والمسرح ذكرها الأخوان ياغي ووجدتها في كتاب **حياة الأدب الفلسطيني**.. فلم أشأ نقلها.

يتضح لقارئ هذا الملف أن الحياة الثقافية التي حاولنا مقاربتها لم تكن تنفصل عن العوامل السياسية المتداخلة والمتشابكة مع ظروف اجتماعية واقتصادية. فالذين تحدثوا هنا، كانوا يخاطبون - في صورة طبيعية - بين ما هو ثقافي وما هو سياسي، لان الثقافة، في الرواية الفلسطينية، لا تنفصل عن الحياة السياسية، بل تعبر عنها وتعكس الكثير من تفاصيلها.

قد يكون هذا الملف مجرد "فاتحة"، وقد يوفر المادة الخام لأسئلة طالما كنا في حاجة إلى من يفجّرها، ودراسات ميدانية لا بد من القيام بها. فإذا كان الأمر كذلك، فانه يكون قد حقق جزءا من طموح أكبر، وبه نكون قد وضعنا لبنة في عمل نتمنى أن يتاح الوقت - لنا أو لسوانا - لإنجاز المزيد منه.

العدد الأول من الجنى الانكليزي

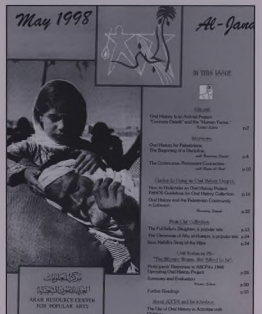

This first issue of the english al-Jana was supported by a generous contribution from Radda Barnen

الجنى الانكليزي، أيار ١٩٩٨:

كلمة التحرير:
التاريخ الشفوي مشروع نضالي
كيرستين شايد إدريس

مقابلات:
التاريخ الشفوي للفلسطينيين:
بداية فرع من المعرفة
مع د. روز ماري صايغ

الرابط المتواصل، الدائم
مع د. بيان الحوت

دليل للقيام بمشروع تاريخ شفوي

من أرشيف الذاكرة الشعبية:
بنت القوال، حكاية شعبية
ذكاء أبو الحصين، حكاية شعبية
حكاية أم نافذ المهجرة

ملف التاريخ الشفوي: استجابات المشاركين حيال مشروع مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية الخاص بالتاريخ الشفوي لهجرة العام ١٩٤٨

استعمال التاريخ الشفوي في أنشطة مع الأطفال
معتز الدجاني

في هذا الملف، اخترنا من أرشيف المركز مجموعة من الروايات الشفوية والأغاني الشعبية والطرائف التي تقدم مجتمعة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في فلسطين قبل النكبة.

من أرشيف التاريخ الشفوي، اخترنا رواية شفوية بدت جامعة وفريدة في أجزاء منها، عن الاقتلاع الفلسطيني عام ١٩٤٨.

ومن أرشيف الثقافة الشعبية، ننشر مجموعة من أغاني شاعر ثورة الـ ٣٦ نوح ابراهيم، كما تتذكرها الراوية "أم خليل" التي كانت في فرقته. وتتميز هذه الأغاني بروحها النقدية الساخرة واللاذعة وتعتبر خير شاهد على أحداث زمنها.

كما اخترنا عدداً من الحكايات/ الطرائف كما وردت على لسان أصحابها.

يا خسارة يا عزّ الدين

يا خسارة يا عزالدين — آه يا خسارة يا عزالدين
عزالدين يا خسارتك — رحت فدا لأمتك
ومين بينكر شهامتك — يا رئيس المجاهدين
يا خسارة يا عزالدين — آه يا خسارة يا عزالدين

جمعت رجال من المناح — ومن مالك شريت سلاح
قلت هيّا للكفاح — لنصرة الوطن والدين
يا خسارة يا عزالدين — آه يا خسارة يا عزالدين

عزالدين يا مرحوم — صوتك شاهد للعموم
آه لو كان كنت تدوم — يا رئيس المجاهدين
يا خسارة يا عزالدين — آه يا خسارة يا عزالدين

- الراوية: فتحية جابري "أم خليل"
- البلدة الأصلية: حيفا
- تاريخ الميلاد: ١٩٢٦
- الإقامة الحالية: أرض جلول/ بيروت
- جمعت النص: سهير الأزم
- تاريخ الجمع: كانون الأول/ ١٩٩٥

اختار نصوص هذا الملف وأعدها للنشر: سهير الأزم

رسوم: سعد حاجو

جماعتنا خطفوا العريس!

أعراسنا ولا كان في أحسن منها، بتختلف عن الأيام هاي. كان العريس يبقى ٧ أيام، والشباب تجيب له سمن وسكر وسعرات، والحنايرة تلم له وتحط له، وكانت الحنايرة تحترم بعضها والشباب تحترم الحنايرة، وما شا الله.. وكان في خيل مثل زمن بني هلال، يعني خيل من هين وخيل من هين .. وإذا كانت تصير مشكلة بالبلد كان اثنين ثلاثة ينهوها المشكلة إنك بتحترم هاي الناس.

بيمكن خطرة، بمرة من المرات في كان عرس بلد اسمها زوبة، جنوب بلدنا، بينا وبينهن نهر، عزموا كل الدنيا وإحنا ما عزموش بلدنا.. وبلدنا مشكلجية، لما ما عزموش بلدنا، هدول في إلهن أصدقا، هناك.. طلعوا بالعرس وجابوا العريس بالليل، خطفوه! إحنا أهله بدهن يطلعوا بالعريس الصبح، ما لقوش العريس.. يا عمي وين العريس؟ طلع بالليل وما عدش إجا !!

كانوا جماعتنا لما أخدوا العريس بالليل وقطعوا النهر خطخطوا وعبطوا ما شا الله عليهن.. فعرفوا أهل العريس إنه جماعتنا أخدوه.

طلق الزلمه أبو العريس عمل العرس وخلص.. لما عرف القصة إجا هوه وجماعته لعنا بالبلد وعاودوا عملوا له فرح عنا بالبلد وشبابنا قدموا لعرس الزلمه أكتر ما قدم هوا الله الوكيل ليلة كاملة بدبكوا له ويغنوا له وما شا الله عليهن.

- الراوي : طه محمد سعيد
- البلدة الأصلية : الناعمة/صفد
- تاريخ الميلاد : ١٩٢٣
- الإقامة الحالية : مخيم برج الشمالي/صور
- جمع النص : كمال مشيرفة
- تاريخ الجمع : ٢١ / ٥ / ١٩٨٧

يا عين حاجِه بكي

يا عين حاجه بكى ... يا عين ظلمتيني
يا عين شقيتي العدى ... حزنوا محبتيني
يا عين حاجه بكى ... يا عين حاجه نوم
يا عين كوني على الفرقا ... طويلة الروم
وفراقنا يا يمى بلدنا ... وصلنا لطلوع الروم

وذابت يا يمى حشيشة قليبي ... لاجلكو ذابت
وهالشعرتين السُمر ... واللي بروسنا شابت
يا عين يا يمى روحي نهلي الباب ... سدوا علي الباب
قالوا غريبة غريبة ... وأهلها غيّاب
والله لاحلفلكو ... عا مصحف صفير
ومن يوم فارقتكو ... والحال ما تغير
والله لاحلفلكو ... سورة على سورة
من يوم فارقتكو ... والنفس مقهورة
والله لاحلفلكو ... آية على آية
ومن يوم فارقتكو ... والعين بكاية

ويا حسرتي يا أهلي ... سدوا علي الدار
قالوا غريبة ... وأهلها خطّار
ذليت من بعدكو ... يا أحباب أنا ذليت
واضعب من فراقكو ... والله أنا ما لقيت
ومع السلامة ويا ... جملة حبايبنا
واللي علشانكو ... انسكبت مدامعنا

- الراوية : أمينة عقل
- تاريخ الميلاد : ١٩١٧
- البلدة الأصلية : صفورية/ الناصرة
- الاقامة الحالية : المية ومية/ صيدا
- جمعت المادة : عايدة نوفل
- تاريخ الجمع : ١٥ / ٤ / ١٩٨٧

ام نايف

قصة الهجرة

كنت متزوجه لما جينا. كان عندي خمس ولاد: نايف، نافذ، وليد، فحة وصبحية. الهجرة صعبة كتير، يا ربينا منا على مراحل بلادنا.

لمن جينا من فلسطين كان حياة أخوي يقول، بيعرف وحده لبنانية مسيحية. لكن، الله يسعد مساكوا ومساها. أنا ما بعرفها.

كانت مرت خبي معانا نسوان كتير، مرت خبي عرفت الإسم. الدنيا كابسني شتا. وولادي يا حرام برجفوا برداتين، اجينا على وحده بأول الربيض قلتلها يا خالتي وين ام الياس؟ قالتلي مين أم الياس؟ من قهرتي أنا، قلتلها شو بعرفني بأم الياس. قالتلي أنا بعرف ام الياسات كتير.

مشيت يا حرام لهلولاد، لقاني زلمة بالطريق، قلتله يا خبي بتعرفلنا قهوة وبيمكن بلاقي أبو نايف. قال من أي بلد انت يا حجة، قلتله احنا من شعب. قال الحقيني لحلك على بيت المعتوق وين. معتوق ما معتوق بدا أتهوى هلولاد بدي أعصبهن من البرد.

مشينا وصلنا لباب الدار. قال يا ام الياس. لمن قال يا ام الياس فتح قلبي . قلت كنه هاي رفيقة خبي. قالتله مين. قالها اطلعي شوفي هالشوفه اللي بتمزع البدن. قالت له من وين. قالها من شعب قالت له يا هلا يا هلا يا ميت أهلا وسهلا بكل مين بيجي من شعب. بلشت لهلولاد تشلحهن أواعيهن لمعرفين بالمي ولبسنهن غيرهن. إلا هي... شلحت أواعيها ولبستني اياهن.

النتيجة يا حبيبتي السرايفة، تاني يوم، إلا باي قرايتنا لبغدوا نسوان . قاله يا نايف نروح عند أبوك. قام صار نايف يبكي وبقول، أبوي ميت... مش عارف أبوي وين. قاله نعال يا خالي أروح أودبك عند أبوك. أبوك من يومين احا على لبنان وهوه هون وناطر بالقهوة. وكل ما حدا احا بطعميه أو بسقيه بقول بركن الله بحن على أولادي.

النتيجة يا حبيبة قلبي وصلوا بالسيارة ولي هوه أبو نايف صار أم بالسيارة بده يطلع واجر بعدها بالأرض. إلا بنادي يا أبو نايف، التفت قاله هادا نايف قام أبو نايف قاله خاجي أبني نايف يعلم الله باي طريق ميت. إلا نايف بقوله صبانا بابا هبابا بابا. ولي هوه خاي نايف وأبو نايف شافنا هبك وصار يبكي، خمسة ونزلتين طفل معانا ونسوان وشو بقولك.

النتيجة يا حبيبة قلبي راح جاب أكل - جاب جبنة، جاب زيتون، جاب خبز - قلي فرقي عليهن كلهن هادا صدقه عن ولادك.

ولدت ام نايف في قرية شعب سنة ١٩١٢، وتزوجت في العام ١٩٣٠ من عامل سكة حديد. وسجلت هذه القصة الباحثة روز مارتي صايغ في ١٧ أيار ١٩٩٢. (أم نايف ليس هو الأسم الحقيقي لهذه السيدة).

مـــا إلنـا غـــيـــر الله وإنـتـــو*

مـــا إلْنـا غـــيـــر الله وانـتـــو — يـــا مـلـــوك المـــسـلـمـيـن
شَـمْـرُوا عن سـواعـدكـو — لإنـقـاذ فـلـسـطـين

لإنقاذ فلسطين

ومـــولانا ابن الـسـعـــود — يـــا حـــامي الـبـيـــت
ولـو شُـفـت الحـالـه بعـيـنـه — كـنـت بَـكـيـت
وبشَـرح الـقَـرب الماضي — إن كـــان تـويـت
ومـــا إلْـنـا غـيـر الله وانـتـو — يـــا مـلـــوك المـــسـلـمـيـن
شَـمْـرُوا عن سـواعـدكـو — لإنـقـاذ فـلـسـطـين

لإنـقـــاذ فـلـسـطـين

أهلنا كـبـيـر بهولانا غـازي الإوّل — فـخـر الشـباب خليفـة البطل فيصل
مـهـد الـعـراق لاجلنا ياما تحـمّـل — حلّ الـقـضـيـة على يدّ رجـالك نتـامَـل
ومـــا إلْـنـا غـيـر الله وانـتـو — يـــا مـلـــوك المـــسـلـمـيـن
شـمـرُوا عن سـواعـدكـو — لإنـقـاذ فـلـسـطـين

لإنـقـــاذ فـلـسـطـين

ومـولانا الإمام يحـيى عـامـود الدّيـن — ويا مـشـهـور بالـغـيـرة عـالـمسلمين
تحـمـي شـبـابنا — برجـالـك هالمشـهـورين
ومـــا إلْـنـا غـيـر الله وانـتـو — يـــا مـلـــوك المـــسـلـمـيـن
شـمـرُوا عن سـواعـدكـو — لإنـقـاذ فـلـسـطـين

لإنـقـــاذ فـلـسـطـين

ومـولانا ابن الحـسـين الـهـاشـمي — وعـبـدالله ابن الحـسـين أبو الأمّـة
تحـمي الصـخـرة والاقـصى — منّ هالـمـجـمـة
ومـــا إلْـنـا غـيـر الله وانـتـو — يـــا مـلـــوك المـــسـلـمـيـن
شـمـرُوا عن سـواعـدكـو — لإنـقـاذ فـلـسـطـين

لإنـقـــاذ فـلـسـطـين

* أغنية للشاعر الشعبي نوح ابراهيم وتتميز بروحها النقدية الساخرة. وتعتبر خير شاهد على احداث زمنها.

- الرابوية، فتحية جابري "ام خليل".
- البلدة الأصلية، حيفا.
- تاريخ الولادة، ١٩١٦
- الإقامة الحالية، أرض جلول/ بيروت.
- جمعت النص، سهير الأزم.
- تاريخ الجمع، كانون الأول/ ١٩٩٥

سرقة الدواليب

اسمعوا! اسمعوا! كنت أشتغل أنا وخالي بدائرة الكهرتيبا بالصحة. أنا وهو كنا بنفس العمر وبنفس الدرجة. بس إنه هو أكبر مني. كانوا معطينه رتبة مفتش - المفتش نايف رشيد.

بسنة الـ ٤٥ انتشر مرض الطاعون. صرنا نعمل تعقيش على المناطق لحتى نتأكد من عدم انتشار المرض. لما وصلنا على الطيرة إلقينا في اجتماع. العالم هيك متجمعة عند المختار بساحة المنزول. فقام القائمقام قال للمختار - عند الله سليمان - بدي أسألك سؤال. مين هي البلد المشهورة في الكونشوك والمطاط؟ صار شي يقول أيطاليا، شي يقول بلجيكا وشي يقول فرنسا وكل واحد بسمي بلد من هالبلدان.

بعد شوي قال القائمقام: إلا يا مختار إلا انت عم تغلط كتير. في بلد هون بفلسطين مشهورة في الكونشوك أكتر من كل هالبلاد.

المختار: مين بتقصد يا حضرة القائمقام؟

القائمقام: أهل الطيرة طبعا. بتدخل على كل بيت بالطيرة بتلاقي بقلب كل حب بندورة العدل مع الحديد منفوخ خالص.

وصرة قام مسؤول انكليزي بزيارة لعند المختار. وكان موقف سيارته بالساحة. بعد ما خلصوا الاجتماع، راح على سيارته فقام إلقى السيارة برا دواليبها الأربعة.

فقام اطلع بالمختار وقال له: شو هاد يا مختار ؟.

المختار: شفت بعينك ما حدا قال لك!

تجادل الراويان كامل شحادة (١٩٢٧، مجد لكروم) ومحمد يوسف كايد (١٩٢٧، طيرة حيفا) على من يعرف أكثر عن هذه الحادثة. وقد نشرنا ما اتفقا عليه في تاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٩٩. على أن يستكمل النقاش لاحقا، في منطقة وادي الزينة.
يتابع الموضوع: هشام كايد

يـا حـادي العيـس

طلم لمنادي ينادي — يقول الخميس رَحيد — تقوني رحلوا — ورَحيلهنّ طوَل
واللي مَسافر مَسافر — والمقيم مقيم — قال وان عدنا يا دار — عمّا كنا
وانا لأودّع حبيباتي — قبل الدهر ما يُشيد — لابنيك يا دار — واجعل طينتك حنّا
يا حادي العيس — قول لاحبابنا يلقوا — وا روح لغراب البين — يوخد مصابيه عنّا
وعيونا السود — منْ كَثر البكا تلفوا — قال يا بين يا بين — قلبي عليك مش راضي
ويا لمي اصبحنا احنا ببلاد — وأصبحوا احبابنا ببلاد — شمّتت يا بين العدا — وامات أغراب
واضيح قليبنا على — فرقتهن حطب بنقاد — قال يا بين غرّبتنا — يا بين وَدّينا
وجيت الدار يا لمي — لاني أحكي ولا أتكلم — واحنا الغرايا — واشتقنا لـ أهالينا
ودمع عيني (يا لمي) — على حيطانكو علم — يا حادي العيس — قول لاحبابنا يلقوا
بنده يا دار — وين أصحابكي الأول — وعيونا السود — منْ كَثر البكا تلفوا

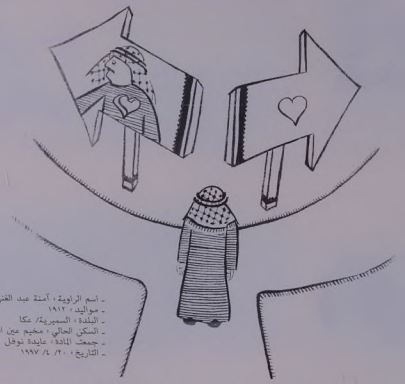

- اسم الزاوية : آمنة عبد الغني
- مواليد : ١٩١٢
- البلدة : السمرية/ عكا
- السكن الحالي : مخيم عين الحلو/ صيدا
- جمعت المادة : عايدة نوفل
- التاريخ : ٢٠/ ٨/ ١٩٩٧

شفا عمرو

١٤ تموز ١٩٤٨

شو هادا اللي بيحضر؟ قال هاي راجعة الغام. إلا شفتها وإلا بعرفها. بس في ناس عنا قالوا هاي راجعة الغام اسمها. بتحضر وين؟ قسم منها بيجي على حارة الإسلام وقسم على حارة المسحبة عند دير الراهبات. حتى في أسناد اسمه نايف إله ولد اسمه حويزي قالوا انقتل. ولكو كيف انقتل؟ قالوا هوه ونايم عالنت إجت فيه قذيفة ومات. هادا الحكي صار بـ ١٤ تموز، كنا نايمين بالدار، ووقفنا كان عمري ١٧ سنة.

بداية الأحداث

بالأول صار في اشتباك وضرب. كنا متونسين؛ بس لما قوي الضرب عالبلد وبطلنا نسمع حدا برد عليه قلنا خلص معناته اليهود قاتوا عالبلد. تطلعت على أبوي وأخويي، كلهن انهمو!. هنه متجوبين وعندهن أولاد. أنا عزابي. مرقت على دار عمي حسن، على دار عمي محمد. وعلى حياة دير ابن عمي. قلت له انت هون؟ قال آه يا عمي، روح تانطلع بريت البلد تلحق الناس اللي انصرفت. تلحق أولادنا وبيوتنا. في حدا هون؟ ماعش والله غير أبوي هدباتو حتبار وعش راضي يطلع. والله بتذكر كان ابن عمي حافي ومفرغ وأنا إليس بإجري صدقة. قلت له إليس برجلك. قال هيك بدي أطلع. إسه بترجع. إيش صابر. بس للصبح! فكره منطلع ومترجع [بصدك] ومشينا. شو بدنا نسوي؟

على الطريق

مطرح ما إحنا ماشيين ماعش حدا. عش حدا لا ورانا ولا قدامنا. عش حدا يا زلمة.. الناس صارت نافدة؛ والله إحنا ومتنلدين بين الزيتونات ولا هالزلمة نافد بين هالزيتونات وعلى كتفه حامل ولد صغير عمره سنتين سنتين ونص، حاطه بين أكتافه ويبركض ويبركض. ولك مين هادا؟ قال، يا عمي أنا يهودي وإبنو؟ قلنا، لا يا عمي إحنا أولاد عرب. تحافش. إحنا منهرمين متلنا متلك؟ ولك انت عش فلان؟ ويعرفنا هوه كمان. أصحاب أنا وأخوه.. يم أخوه وأنا والله أصحاب متل الأخوة. ومشينا مع بعض. والله لما طلعنا بصعورية كان معي قرشين. قلت له، هادا إلك قرش مصروف وإلي قرش مصروف [يشعه على ربي] ما إنت أخوي. قلت له، ناشوف شو هالحاله!

في صفورية

هناك وصلنا صعورية يا سيدي. شو جيش أبو محمود؟ رايح جاي. والتعبنا إحنا واهلنا. واهالي شفا عمرو كلهن هناك، يعني الواحد تونس! في ناس ظلت رأيه على الناحية وإحنا ظلينا هونيك. فكرك إنه صعورية بتحمد؟ سال أبوي والحد من عيلة كبيرة من صعورية. رد عليه، تحكيش هالحكي وإلا بسلمك للقيادة! [بصدك].. لسه شي خاطين الأكل بدنا نقول بسم الله الرحمن الرحيم !!! الطيارة حاي وبلشت تضرب. إجت مرتين ضربت وراحت. أنا لما ضربت الطيارة كنت قاعد تحت السروات وكان في استدكامات حد مني. لحد. أقول لك تمت؟ ما عرفتش أنام! وعيت على صياح، انتين بتنصابحو! ولكو شو القصة؟ لقينلك أهل صعورية مشكلجية، خفت يحللوا اليهود على صباحهن. تركتهن وطلعتني ماشي تاوصلنا سهل البطوف تاول النهار.. وإلا شو. كل البئر هونيك.

اللجوء الأول

قديش في عالم بالسهل .. قطعتها كلها، صرت أركض بدي أشوف جماعتي وين. الناس بسألوني،

يا عمي، شو صعورية؟ قلتلهن بعدها صعورية مش سافطة. والله ما أكلت وشربت وإلا سيدي راكب على حصان وعيلتنا كلها نافدة. إنت هون؟ قلتلهن، آه. قالوا أبوك رح يدور عليك بصعورية، نسيناك هناك! والله بتنا هديك الليلة بوادي سرأمة. والصبح دمي القصف طلينا نركض لوصلنا سجماتا. من سجماتا بقينا ليلتين بدير القاسي وجينا على بنت جبيل. شو بدك من هالحكي.. وإلا شو فلسطين كلها هناك.

التسلّل والعودة

بنت جبيل قعدنا شهر، بعدين رجعنا على عنجر. هناك اشتغلنا بالغابل. كنا شباب وبدنا نعيش. وبعدين، واحد من عنا خبرنا إنه اليهود بيقولوا أولاد شفاعمرو فيهن يرجعوا. قلنا عال! وقال، بكرة أهالي شفاعمرو وين ما يكونوا بالشام، بعلبك، عنجر، بالبوم الفرانسي بالساعة الفرانسية بتجيي بوسطات بتركبوا عالرميش ومن الرميش بتطلعوا على شفاعمرو. وما حدا بيحكي معكو. وفعلاً، رجعنا على شفاعمرو أنا وأبوي وعمي مرعي وأبو مرشد لحالنا. بالأول، ما رضيناش ناخد العيال معانا، رجعنا ناشوف القصة. وأنا دخلت حالي هيك.

وصلنا. وإ إ تاني يوم المينادي بينادي يا أهالي شفاعمرو. اللي ماموعش هوية يبجي يسجل حاله عند الحاكم العسكري. بده يطلعلكو هويات. قلنا عال. والله صحيح هالحكي هاذا. وصرنا نروح عالسراي. شو العسكر. والدنيا رايح جاي. والناس بدفشوا فيه يا زلمه. الشاطر بده يفوت قبل التاني! طلع واحد. قلت له. ولك شو سالك؟ قال لي. سألني وين قاعد. وشو اسمك. ووين كنت إلحدى بلبنان. وقديش صارلك هون؟هاي اللي بيسأله. قلت مشان أفهم شو بدي أحكي معه. بالنتيجة. قلت أنا بعدين. والله شواسمك؟ فؤاد الجمال. وين ساكن؟ عد المدرسة. بدارنا.قديش صارلك هون؟قلت له ست اشهر.. وأنا مبرح جاي؟ منجور وإ عرابي؟ قلت له أنا

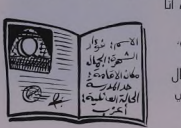

براسي. قال. خلص. بكره بيصوروكو ويعملولكو هويات. كتر خيرك. هاي هنه! وقيد الكل. تاني يوم وإ بيقولوا المصور جاي. روحوا تصوروا. رحنا تصورنا كلبانينا. واعطونا كنه كل واحد صورتين واحدوا هنه صورتين. وقالوا بعد جمعة بتطلع الهويات. قال أبوي وأنو مرشد بدنا نروح نجيب عيالنا.. خلص فيدنا وصورنا. شو في بعد؟! وطلعنا أنا وعمي مرعي. صرنا نتجول ونروح ونبجي ونشيل ونحط ويدور الواحد على أصحابه. أنا إلي أصحاب بالمدرسة .. يعني مسوطين.

غلطنا وجينا!

والله.نايم أنا وعمي مرعي بغرفة لحالنا. بالليل فلقت وبعده النهار مش طالع. هيك إجا بحالي يا زلمه غير أطلع لبره. طلعت صرت أتمشى بالحواكير عنا. البلد عنا مافيهاش كهربا. الإنكليز ما خلوا عليها وإ اليهود.. بعدين. أخبرت عيني هيك نزلا الشارع أخبث قلبي.. الشارع مش مبين علي. والله رجعت قلت بدي أنام. شو هالحكي. رجعت بطحت حالي هيك ماعرفش. عاودت فزيت على حيلي وأجيت وقفت باب الباب ونطلعت نزلا العين هيك .. قامت عيني وإ تشوف اخدرة على دبابة والشاحنات والديش أملي الخلة.قلت أبي .. شو هاد ؟ تطوفنا! ركصت إلين عمي قلت له. فهم اليهود مطوفة البلد. قال. شو بتحكي؟ قلت له. والله غير تيهت اليوم. قال لي. مجابين إحنا تاندش اللبنانية وتبجي عند اليهود تايدبحونا؟ ولك عد بيامن إعدوه ؟! غلطنا وجينا .

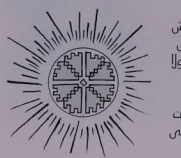

الساعات الأخيرة

كان بالدكورة عنا في تينة. والتينة مغرخة من تحت ورأسية هيك .. وفي تحتها مغارة من جوا قد الأوضة بس بابها صغير ومتبتبش بالمرة. فعلا رحنا تحبينا فيها وبقينا لحد ما طلع النهار. وإ المينادي بينادي. يا أهل البلد. النسوان تظل بيوتها والرجال من ١٥ وفوق كلها تروح على تربة الإسلام. قلنا هناك منشان بقيرونا.قلت له إحنا مش طالعين من هون. والله شوي وقام ولع الرصاص. بحطلع ربع ساعة والرصاص بلاعلع. يعني بحطل الواحد يسمع التاني. وقاعين البلد.. للمغرب وانسحبوا. طلعنا عالبيت نعشينا. وإ بحينه الرجال. والله جينا العيال ومسكتهن اليهود عالحدود.. وقعت طنجرة من واحدة والدرس كان فارق. وما بعرف شو صار فيها. وإحنا انهرمنا وجينا جاي ما قدرناش نرجع لورا من الرصاص. تانطلع إسه نشوف شو صار فيهن.. ويم من ساعتها دشرنا البلد وطلعنا طالعين. ما بتناش الليلة بعني.

اللجوء الثاني

هديك الليلة بتنا عند أبو الهيدا. زلمه وطني مظبوط.. عارفينه يعني! وطلعنا عنده لتاني يوم الطهر.تعدينا وطال بغلط فينا. كاطلعنا من البلد. والله ما غابت الشمس علينا إلا واحنا فوق تحف. صرينا بحنيار على الطريق. قال. شو بدي اعمل؟ أقول لكم تفعطلوا بقدرش. والله بذهب بيتي يا عمي.. عنا ناس معشرين.. لكن على زلمه بروح صاي باوله من هالموجود عندي. والله راح معه عمي سليم. أعطاه زوادة خبز وبيض وشي وخبار تعشينا. إحنا تعشينا من هون والكراب هاشت علينا من هون. طلينا نركض بتطلع ساعة لقطعنا الوعر. والله قول بعدنا. بدنا نزل على الرميش. الدنيا عتم بعدها. أنا وأبو مرشد تيمنا شوي وعاودنا قمنا نرتاح. وإ الدرك! وين وين ؟ قلنا له. ما سمعتش الرصاص؟ إحنا قمنا لجوا عاودنا انهرمنا لبرا. قال بالا روحوا! ما حكاش.

جينا عند أبو ماجد. قلناله. حدا رجع؟ قال. ماقبل غير اليهود. واحد كان عمير أخدها على عنجر وبده يرجع يجور عالنسوان.. ويترك لكم ست ليرات عذوق. والله رجعنا على بيروت والنسوان مسكوهن اليهود وظلوا يومين نزالة. عاودوا ركبوهن وردوهن لعندنا.كتير صدمة الأهالي نغلبنا كتير. فعلا أكلناها مظبوط.. رجعنا كإنه لإحنين مرة تانية بس هيدا رجينا هون والمعلله.

- الراوي: فؤاد قاسم الجمّال
- البلدة الأصلية: شفاعمرو
- تاريخ الميلاد: ١٩٣٠
- الإقامة الحالية: مخيم برج الشمالي/ صور
- جمع النص: كمال جمعة مشيرفة
- تاريخ الجمع: ١٣/ ٨/ ١٩٩٧

التاريخ الشفوي مشروع نضالي :

"التفاصيل المحسوسة" و "العامل البشري"

كيرستين شايد أدريس

ذهب إدوارد سعيد، في مقال حديث نشر في الأهرام الأسبوعية، إلى أن النزاعات السياسية إنما هي مبارزات للإرادة، تمارين في الإقناع يدعمها المثقف المناضل أفعل دعم عبر تعزيز اقتناع الذين يخوضون المعركة، وتصميمهم، وصون اعتقادهم، بأن الأفعال الإنسانية يمكن أن تصنع فرقاً في المصير السياسي لجماعات بأسرها. وقد أطلق على هذا التوجه السياسي اسم "سياسة التفاصيل المحسوسة"، التي قد توطد الإيمان في نفوس أعضاء الجماعات الياسة بأهمية "العامل البشري". والتاريخ الشفوي برنامج نضالي يحقق كلا من الهدف والطريقة اللذين وصفهما إدوارد سعيد. فهو يوضح من خلال الوصف المفصل للسير الفردية، أن الفلسطينيين على امتداد تاريخ نظالهم قد عملوا على إدخال فرق في مصيرهم الجماعي. وهو يقوم بذلك من أجل التاريخ المسجل ومن أجل الفلسطينيين الذين فقدوا الاتصال بماضيهم، كما هو حاصل مع الكثير من الفلسطينيين في المنفى اليوم. والتاريخ الشفوي يشجع، في الوقت نفسه، الأجيال الشابة على تعلم مهارات التعامل مع الواقع من خلال تجارب أسلافهم المقدمة على نحو ملموس. وهي فوق هذا تغرس فيهم الاقتناع بأنهم يستطيعون أن يصنعوا فرقاً في مصيرهم الخاص عبر تفاعلاتهم الشخصية وعملهم المدرسي.

فالتاريخ الشفوي يشتمل على توثيق مضن ومنظم للماضي كما عاشته وعانته أوسع تشكيلة ممكنة من الناس. وهو يؤكد، عبر طريقة المشافهة وجهاً لوجه، قول سعيد بأن لكل فرد أهميته وله ماض يستلزم أن يحسب حسابه. وهكذا، وعلى ما بينته المشاريع التي قام بها صلاح عبد الجواد وسونيا النمر وروز ماري صايغ ومركز خليل سكاكيني، كل على حدة، فإن التاريخ الشفوي للعقود الخمسة الماضية من تاريخ فلسطيني الشتات يفضح المشروع الصهيوني ويبين حقيقته التي لا مراء فيها، بكل ما يميزه من لا أخلاقية خاصة ومتكررة. علاوة على ذلك، فإن التاريخ الشفوي يقدم للجماعة المنفية، تحديداً، المادة المطلوبة لتشخيص ما أسماه سعيد بالمظالم المرتكبة باسم الصهيونية. والتاريخ المكتوب يجعل هزيمة هذا المشروع المضل أمراً محتوماً لا راد له، لأنه يقيم "التفاصيل المحسوسة" - فظاعة المغادرة وترك طفل سهواً، الاشمئزاز من أن يطلب منك أن تدفع ثمن فنجان من الماء على الحدود، الخوف المضض الذي يساور الأم على سلامة أطفالها، الظهير المنحني الذي يحاول أن يخفي البطن الحامل عن عيون الجندي الصهيوني، الأنفاس المكتومة تحت كومة من الأجسام المقتولة عند قدوم القتلة للتحقق من إصابة أهدافهم، الحنق الساخط من البحث تحت المطر المنهمر عن السيدة إلياس التي وعدت باستضافتكم والعجز عن العثور عليها - و "العامل البشري" - الأعداد الكبيرة من المسنين، والأطفال، والناطقين المطلوبين للقيام بمشروع تاريخ شفوي؛ والصدافات الجديدة التي تنشأ في سياق مشروع كهذا؛ وساعات الأشرطة المسجلة؛

ومحسوسية كل ذلك الكم من الأصوات المختلفة في القوة والطبقة - التاريخ الشفوي يقوّم كل آثار المجهود البشري الملموسة هذه وما تستتبعه من آمال في وجه الفكرة الوهمية المجردة "أرض بلا شعب للشعب بلا أرض".

لقد كتبت فاطمة مرنيسي عن الخيال بأنه "العقل المهم الذي تصاغ فيه المفاهيم السياسية والاقتصادية". (أنظر "Zhor's World", in Feminist Issues, Spring, 1982, p.4) في بعض الأطر الاجتماعية، منقطعاً تماماً عن ماضيه، تصبح الذاكرة نفسها أشبه بخيال من الأخيلة. علاوة على ذلك، فإن الذاكرة المعززة والمصانة جماعياً في أحوال كهذه يمكن أن تكون لها القدرة التكوينية نفسها التي للوهم. ولئن كان وهم أن الأرض المقفرة قد أنتجت على مدى العقود الخمسة المنصرمة شيئاً أشبه بالواقع مع ما يصاحبه من وقائع لا مناص منها على الأرض، فإن حصول الفلسطينيين على ذاكرتهم الخاصة بما قبل العام ١٩٤٨، ذاكرة تحتوي على أعمالهم خلال فترة الهجرة، ذاكرة تضج بالحياة المتصرة في خضم شدائد نصف قرن من العيش في المنفى، إن حصولهم على ذاكرة تحفظ هذا كله وتستذكره فيما هم يعيشون متكدسين في مخيمات اللاجئين أو مشتتين في عواصم العالم الكبرى إنما هو الإمساك بوهم لا يقل، عن الوهم الصهيوني، قوة تحفيزية على النضال. إن تعبئة الخيال، والالتزام بالإرادة الإنسانية، والإيمان بقدرة الناس على التأثير في مصيرهم، هو ما نهض إليه مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية في مشاريعه الخاصة بالتأريخ الشفوي.

عندما وصل الفلسطينيون إلى الحدود اللبنانية كان على الأطفال في كثير من الأحيان أن يواسوا شيوخهم المهكين المذلولين. وقد التقط أحد العاملين في الصليب الأحمر صورة لحظة من هذه اللحظات تظهر نسختها في هذه الصفحة. إن الطفلة الصغيرة التي نرى يديها تمسحان جبين جدها تبدو وكأنها تتمتم تعويذة، حرزاً سحرياً للحماية، لتحفظه من الكرب الحاضر وتشفيه في المستقبل. أين هي هذه البنيّة الآن؟ لعلها تقبع في أحد مخيمات اللاجئين الكثيرة في لبنان، وقد شاخت هي أيضاً وأضحت منهكة في أرجح الظن، لا بفعل مصيبة مفاجئة حلت بها، بل جراء نصف قرن من المآسي المتراكمة. ولئن كانت أم حسين دهيش أو فاطمة حنفي، أو أية من النسوة السنات اللواتي شاركن في مشاريع جمع الشهادات الشفوية التي أطلقها مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية، فقد عاشت لترى الصورة مقلوبة؛ فالمرأة المسنة الآن هي التي تقدم العرض المتخيل لذكرياتها الشخصية لاستنهاض الجيل الجديد الذي يقاربها في زمن اليأس. وعندما تشهد المؤرخين الشفويين الصغار ينطلقون، بدورهم، لتلاوة ما اجتنوه من جيلها على أسماع جمهور أوسع، عندها تكون عملية الشفاء وحماية الجماعة، قد استعيدت.

نقله الى العربية؛ حسني زينه
عن "الجنى" الانكليزي، أيار ١٩٩٨.

محمود عيسى للجنى

أبحث في ذاكرة المكان

محمود عيسى يشرح فكرته

لاجئ فلسطيني من سكان مخيم يعلبك/ البقاع. والده كان يملك دكاناً صغيراً، وأمه ربة منزل. وهو كان "جحش العائلة الأكبر"، لذا الرهان عليه كان "استراتيجياً"، حيث كان رأس المال الوطني لعائلة مكوّنة من ثماني بنات وثلاثة صبيان، هو من بينهم. وكأي لاجئ فلسطيني، قادته الأقدار عبر ثماني هجرات إلى الدانمارك، حيث نال درجة الدكتوراه في الأدب الإنكليزي، بعد أن درس في لبنان والأردن وفرنسا. عاش أحداثاً وتجارب مختلفة، ولدى قناعاتٍ راسخة في ما يتعلّق بقضية الشعب الفلسطيني.

عن هذه التجارب يقول د. عيسى:

أذكر في العام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ أنني كنت أدرس في إحدى مدارس الأونروا، وقرر الأستاذ **محمد جهاد**، وكان عروبياً ناصرياً، أن يأخذنا رحلة إلى كفركلا حيث الحدود اللبنانية - الفلسطينية. أذكر يومها أنني قمت وزملائي بأخذ كمية من التراب من داخل السور، وأننا جرحنا أيدينا لنسيل الدم على حجر حملناه ورميناه "لجوّا". وحملنا ثوبة تراب وعدنا وقتها كانت أمي تطبخ قول أخضر. "قمنا خلطنا الترابات مع البقولات وأكلناهن". مازال هذا الأمر عالقاً في ذاكرتي و"كانت أكلة قول طيبة مع تراب فلسطين".

أجواء الستينات، هل أثرت في تحديد بعض خياراتك اللاحقة؟

عموماً، الأجواء التي عشناها في ظل الناصرية من جهة، وممارسات الثمانية الثانية ضد المخيمات الفلسطينية من جهة ثانية، دفعتني وعدداً من أبناء جيلي في العام ١٩٦٨، للالتحاق بقواعد المقاومة في عجلون (الأردن)، تاركاً ورائي منحة من كلية التمريض في الجامعة الأميركية. وبقيت في الأردن حتى طردنا منها في العام ١٩٧١.

بعد أن عدت، تابعت عملي السياسي والتنظيمي العادي، بالإضافة إلى انتسابي إلى كلية الآداب في الجامعة اللبنانية. كنت اشتري الكتب وأقرأ كثيراً. وفي نهاية العام الدراسي أتقدم للامتحانات. بهذه الطريقة شعرت أنني أسد ثغرة في النظرة السائدة عند أهلنا إلى الذين يلتحقون بصفوف الثورة بأنهم فاشلون ولا يجدون صنعة "تلمهم". وهذا ربما، شكّل أحد المركبات الخفية في نفسي، التي دفعتني لان أثبت العكس؛ إننا مناضلون وأكاديميون أيضاً. وبقيت على هذا الحال حتى الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢، بعدها غادرت إلى باريس، ومنها إلى بلدان عدة قادتني في نهاية المطاف إلى الدانمارك، لأبدأ - كأي فلسطيني - من الصفر مرة أخرى.

متى تفرّغت للعمل الأكاديمي؟

خيارات الفلسطيني مرتبكة ومتشعبة، دائما يبحث فيها عن العمل الذي يمكن أن يمارسه مستقبلاً. غير أنني لا أذكر ولا مرة أنني حسمت الخيار إلا لصالح العمل الثوري. لكن معايشتي للعمل الوطني جعلتني أدرك أن الانتليجنسيا الفلسطينية كانت دائما بعيدة عن الناس، والكتابات الثورية تأتي من فوق ولا تعبر عن الناس. وهو ما شكل بداية تبلور وعي - عندي على الأقل - أن في الثورتين؛ ثورة ناس يكتبون عن الثورة، وثورة ناس يعيشون الثورة، وبهوم محدود بحدود قاعدتهم. هذا الإحساس أشعرني أننا نحن أولاد المخيمات نختلف عن أبناء العائلات "المحفلطين المزفلطين" الذين يجيدون الكلام ويعرفون مواقع السلطة أفضل منا؛ وولّد لدي

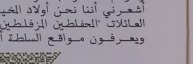

نقوم بالتنسيق مع لجنة المهجرين لتنظيم زيارات سنوية لأطفال فلسطينيين إلى الداخل.

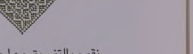

معايشتي العمل الوطني ولّدت لدي حافزا بأن علينا نحن أولاد المخيمات أن نكتب عن الثورة، لا أن ندع أبناء العائلات "المحفلطين المزفلطين" أن يكتبوا عنها.

حافزا بأن علينا نحن أن نكتب عن الثورة، لا أن ندع المثقفين، على صدق نياتهم، أن يكتبوا عنها لأنهم لا يستطيعون ذلك، عاطفيا وإنسانيا، على الأقل. هذه الحوافز جعلتني أركز اهتمامي على مستويين؛ مستوى العمل الثوري اليومي، ومستوى العمل الأكاديمي.

متى بدأت العمل على صعيد اللاجئين الفلسطينيين في الدانمارك؟

مع بداية الانتفاضة، كنت ناشطا مع زملائي في اتحاد العمال، وفي إطار النقابات واتحادات العمال الدانماركية، مما فتح - تدريجيا - أفقا أوسع للعمل، لكن حرب الخليج والحصار الذي فرض على الفلسطينيين، كان القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث أقفلت المؤسسات التابعة لمنظمة التحرير في الدانمارك، ومنها اتحاد العمال. فانقلبت الأجواء ضدنا، وتراجع العمل. حينها، أنهيت الدكتوراه في الأدب الإنكليزي بسرعة، وبفضل العمل السابق الذي أنجزته هنا وهناك. اخترت العمل على صعيد اللاجئين الذين شعرت ان تجربتهم وأوضاعهم تستحق أن تدرس. واشتغلت مع منظمة اللاجئين في الدانمارك حول موضوع بعنوان: **فلسطينيو أوروبة في الدانمارك: أحلام ووقائع**. وأخذت عينة من ثلاثة أجيال، ودرست علاقتها بالماضي والحاضر. وطبعت هذه الدراسة في كتيب، وبعثت كل النسخ المطبوعة. ما يدل على أن الفلسطينيين متحمّسون للحصول على إجابة واضحة عن مستقبلهم، خصوصا بعد اتفاقات أوسلو.

بعد ذلك، وكعضو في جمعية الصداقة الدانماركية الفلسطينية التي كانت تنظم رحلات سنوية إلى الداخل، وجهّت دعوة في العام ١٩٩٤ إلى التلفزيون الرسمي لمشاركتنا الزيارة إلى بلدة لوبية، برفقة فلسطينيين آخرين، من ضمنهم والدي. وفعلا، رافقونا مدة أسبوعين، وصوروا ١٤ ساعة تقريبا، أنتج منها فيلم بعنوان **أرض الآباء**، عرض في العام ١٩٩٥. وأعيد عرضه في الدانمارك

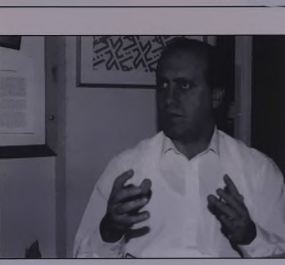

في أول زيارة لها بعد ٤٦ عاما، صارت أمي تبكي وتقول "ليش جيتوني". أما والدي فكان يدور في أرجاء القرية باحثا عن ثلاث شجرات زرعها قبل الهجرة.

والسويد، وشاهده نحو مليون نسمة من أصل أربعة ملايين. وكان مؤثرا جدا، والى جانب الفيلم صدر كراس دونت فيه أحداث تلك الزيارة. هذا العمل فتح افقا صغيرا يتنفس من خلاله الفلسطينيون، وصار الدانماركيون يسمعوننا قليلا، سيما ان المكنة الإعلامية في الدانمارك، مؤيدة تاريخيا، لإسرائيل، وحاولتْ على الدوام بث صورة سلبية عنا. غير أن الإحصاءات الأخيرة أشارت إلى أن نسبة الدانماركيين المؤيدة لإقامة دولة فلسطينية مستقلة بلغت ٥٢٪.

كيف كانت ردة فعل والديك أثناء الزيارة؟

أمي كانت تبكي وتقول "ليش جيتوني". وباستمرار حاولتْ تعنيف الكاميرا. عزاؤها الوحيد كان لقاؤها بأهلها وأقاربها الذين بقوا بعد الـ ٤٨ في قرية دير حنا التي تبعد عشر دقائق فقط عن لوبية. أما والدي، فكان يدور في أرجاء القرية باحثا عن ثلاث شجرات زرعها بيديه قبل الهجرة. وبعد محاولات فاشلة عدة وجدها، وفورا أمسك ورقة شجر وأكلها، ثم حفر اسمه على إحدى الشجرات، وعلى شجرة ثانية حفر اسم ابنتي الصغيرة التي كانت ترافقني. وعندما سأله طاهم التلفزيون، الذي أجرى مقابلة معه فوق سطح بيته المدمر، عن شعوره مع اقتراب موعد العودة، أجاب "خيمة فوق ظهر هذا البيت المدمر لا أبدلها بكل القصور الملكية في الدانمارك.. ليتني أموت هنا ولا أغادر أبدا".

وكيف كان لقاؤكم بالأهالي في الداخل؟

منذ أن عرف أهالي لوبية بوجودنا، كلهم "طحشوا" وصارتْ "خبيصة"، وبدأوا باستعادة ذكرياتهم الماضية.. أذكر أن من بين الموجودين امرأة مسنة من دير حنا، عندما رأت أبي قالت "مش هادا يوسف؟ مبين طالع لك شوارب؟" وكان الزمن عندها توقف في العام ١٩٤٨.

هل وجودك في لبنان مرتبط بمشروع جديد؟

نعم. فبعد إعداد الكراس مع منظمة اللاجئين في الدانمارك، وتصوير الفيلم، صدر إحصاء يشير إلى وجود نحو ٨٦٥ "لوبانياً" (نسبة إلى قرية لوبية) في الدانمارك وحدها. وهو ما دفعني لأن أتابع ما بدأت. فقدمت طلبا للحصول على منحة من لجنة الأبحاث العليا في الدانمارك، بهدف إعداد بحث أكاديمي عن قرية لوبية (من بداية هذا القرن حتى الآن). وفعلا، حصلت على منحة دراسية لمدة عشرين شهرا. ثم حصلت على منحة إضافية لمدة عام من المركز الثقافي الدانماركي في دمشق. لاستكمال المشروع.

البحث مقسم إلى ثلاث مراحل زمنية، ما قبل الـ ٤٨، أحداث العام ٤٨، ومن عام ٤٨ حتى الآن. أدرس فيه علاقة "اللوبانية" بالأرض من جهة، والاندماج ومعوقاته ومقوماته في المحيط الذي يعيشون فيه من جهة ثانية. فكرة البحث بدأت في الدانمارك ثم امتدت لتشمل مقابلات مع ثلاثة أجيال من لوبية يعيشون في بلدان مختلفة. وحتى الآن أجريت حوالى ١١٠ مقابلات مع "لوبانية" يعيشون في الدانمارك وفلسطين وعمان ودمشق ولبنان. والمعلومات التي لدي تشير إلى توزع "اللوبانية" على ٢٦ بلدا، لكن الأغلبية تسكن في سوريا، بالإضافة إلى التجمعات الأخرى التي تسكن في لبنان، التي هاجر منها أعداد كبيرة إلى الدانمارك.

ما هي الأفكار الجديدة التي يتناولها بحثك؟

أولاً، على الصعيد الشخصي، هذا البحث له أهمية خاصة كونه جزءاً من مشاعري وتاريخي. أما على الصعيد العام، فللبحث أهمية تاريخية وتوثيقية، والمعلومات والصور التي حصلت عليها سواء أثناء المقابلات أو من الأرشيف الإسرائيلي أو البريطاني، كلها جديدة، وزودتني بتفاصيل مهمة عن لوبية وعن المشاريع التي كان ينوي الأهالي إقامتها قبل الاحتلال، مثل: المجلس البلدي ومدرسة للبنات، الخ.. بالإضافة إلى أوراق ملكية الأرض، وكلها موثقة في الأرشيف البريطاني، وهو ما يفتح الآفاق على مواضيع أوسع، مثل موضوع حق العودة. فحتى الآن لا توجد أي مؤسسة فلسطينية في الداخل أو الخارج، تتعامل مع حق العودة كمضمون وليس كشعار فقط. وأنا من دعاة البدء بعمل حقيقي وهادئ، لتجميع الوثائق الخاصة بملكية الأرض، سواء قانونيا، أو عبر مؤسسات متخصصة. بالتعاون مع جهات فلسطينية تعنى بالموضوع. وأهمية هذه العملية أنها تساعدنا على تدعيم حقوقنا ومطالبنا الشرعية في فلسطين. أمام المجتمع الدولي، وكذلك على التصدي لمحاولات تذويب شخصية الأجيال الفلسطينية الجديدة التي لا ترتبطها بالأرض سوى علاقة نظرية من دون أي تواصل جغرافي. ومن هنا، نفكر حاليا بإجراء إحصاء للمواليد الجدد في السويد والدانمارك وألمانيا. واتفقنا مع لجنة المهجرين في الداخل على تنظيم زيارة سنوية لتستقبل ١٠ أطفال لمدة أسبوعين، يعرفونهم خلالها إلى معالم قراهم الأصلية أو إلى ما تبقى منها، ويحكون لهم عن تاريخها والحياة فيها قبل الاحتلال. وذلك للحفاظ على ذاكرة القرية، وعلى التواصل التاريخي بين الأجيال، سيما أن سلطات الاحتلال تبذل جهودا كبيرة لإخفاء معالم القرى وتشويهها، سواء بتدميرها أو تحويلها إلى أحراش، أو جرفها وبناء مستعمرات يهودية محلها. وهو ما حصل في بلدي لوبية، حيث تم تحويلها إلى متنزه للأطفال سمي "غابة جنوب إفريقيا". وبمحاذاته بنيت مستعمرة يهودية تحمل اسما محرفا لاسم البلدة الأصلي.

كيف تشكلت لجنة المهجرين في الداخل، وما هو برنامجها؟

في الداخل ٢٤٠ ألف مهجر يحملون هويات إسرائيلية. قبل أربع سنوات تقريبا، وكأحد إفرازات اتفاقات أوسلو، بدأوا يشعرون بأن لهم وضعية خاصة داخل الجسم الفلسطيني. فعقدوا مؤتمرا شارك فيه بعض أهالي هذه القرى الموجودين في الخارج، وانبثقت منه لجنة متابعة من مختلف القرى تطالب بحق عودة هؤلاء المهجرين إلى أرضهم كمواطنين إسرائيليين. لا شك أن أسبابا موضوعية دفعت هذا الجزء من الشعب الفلسطيني للبحث في خصوصيات وضعه عن حلول مناسبة، سيما أننا بتنا نفتقد قيادة سياسية منظمة وموحدة تطالب بحقوق الفلسطينيين في الداخل والخارج، الأمر الذي أعاد الشعب الفلسطيني إلى ما قبل العام ١٩٦٥، أي الى ما قبل نشوء منظمة التحرير الفلسطينية، مع ملاحظة الفارق في أن القرية كتكوينة ذاتية واجتماعية قد تخلخلت الآن بفعل التمزيق الذي أصاب أبناءها نتيجة التهجيرات المتتالية، والحصيلة، البحث عن مشاريع سياسية تنظر إلى حلول جزئية لأوضاع وتجارب مختلفة مر بها الشعب الفلسطيني.

هل هناك مشاريع أخرى على الطريق ؟

مؤخرا، اتفقنا مع المتحف الوطني الدانماركي على تصميم مجسم لقرية لوبية يعرض في المتحف، نستعين في إعداده بالمعلومات والصور التي قمت بتجميعها في المشاريع السابقة. والهدف من عرض هذا المجسم ثقافي ووطني يربط الأجيال الجديدة بقريتهم، ويستثير ذاكرة الأجيال القديمة ويغذيها، وفكرة هذه المشروع تتقاطع مع المشاريع السابقة عموما، التي تهدف إلى الحفاظ على الهوية الوطنية عبر التواصل المكاني مع الأرض بالإحساس والجسد.

حاورته: سهير الازم

محمود عيسى

- مواليد لوبية - قضاء طبريا / ١٩٥١.
- ١٩٩٠: عضو في جمعية الصداقة الدانماركية - الفلسطينية.
- ١٩٩٢: نال شهادة الدكتوراه في الأدب الإنكليزي/ جامعة كوبنهاغن.
- ١٩٩٥: مسؤول لجنة فلسطين في جامعة كوبنهاغن.

إصدارات:

- **مشكلات التربية والتعليم الفلسطيني في لبنان/** دبلوم تربية من جامعة بيروت العربية، كراس، ١٩٨٧.
- **فلسطينيو لوبية في الدانمارك: آحلام ووقائع/** بالتعاون مع منظمة اللاجئين في الدانمارك، ١٩٩٥.
- المشاركة في إعداد فيلم وثائقي بعنوان **"أرض الآباء"** بالتعاون مع التلفزيون الدانماركي ١٩٩٥.
- Involvement and Detachment in Joseph Conrad's, Fiction, 1996.

نعود ...
حين نموت "جميعاً"

باب الشمس
(رواية)
الياس خوري
دار الآداب
بيروت، ١٩٩٨
٥٧٨ صفحة

الرواية، أي رواية، ليست كتابا للتأريخ، ولا يجوز أن تكون كذلك. لكنها تستطيع، وعلى غير ما يمكن لكتب التاريخ، أن تحتضن برقق وحنان وإنسانية عالية، مادة تاريخية من وقائع وحوادث سوف تتحول، في العمل الروائي وبه، إلى أسئلة في عمق التاريخ، وبحثا عن حقائقه الغائرة وراء اليومي والآني، وفي ثنايا العابر من الوقائع المرصودة.

رواية الياس خوري **باب الشمس** تبدأ من التاريخ الشفوي لتنتهي إلى جوهر التاريخ وأعماقه. وما بين البدء والانتهاء نقع على أسئلة الرواية التي هي أسئلة الروائي الذي يعترن، في وعيه وفي وجدانه، مجموعة كبيرة من الحكايات تؤلف، آخر المطاف، حكاية باب الشمس. باب الشمس المكان المتخيل، وباب الشمس الرواية المقدمة إلى القارئ بوصفها شهادة المؤلف وليست فقط شهادة من يستدعيهم المؤلف كي "يحكوا" حكاياتهم. فهو يجمع الشهادات ويسجل أمادة الوثائقية ويقضّ ما يلزم لروايته من مادة كتبها آخرون، لكن عمله لا يقتصر على ذلك، وإلا لكتب كتابا بحثيا لا رواية. فكتابة رواية تعني انه يعيد إنتاج مادته كلها ويخضعها لرؤيته ويقوم بترتيب الوقائع - المتخيلة والواقعية - ضمن عمليات "مونتاج" شديدة التعقيد بالقدر الذي يعكس شدة التعقيد في "القضية" التي تجسدها الشهادات ومادتها التاريخية؛ مثلما يعكس (هذا التعقيد) رؤية وأسلوبا روائيين تمتاز بهما أعمال الياس خوري التي يكتب روايته ليبحث عن التاريخ، وليبحث في التاريخ عن الحقيقة.

وباب الشمس ليست رواية عادية، بل ليست مجرد رواية. انها ملحمة روائية، تتمدد زمانيا ومكانيا، شخوصا وحوادث، وتخوض في حقول علم - نفسية واجتماعية وأنثروبولوجية وسياسية وفكرية وأدبية.. أي في حقول الثقافة جميعا تقريبا، مع تركيز على الثقافة الشعبية في مواقع ليست قليلة.

في **باب الشمس** حكايتان أساسيتان، الأولى - والأكثر أهمية - هي حكاية يونس بن إبراهيم بن سليمان الأسدي الذي يحضره الراوي، في زمن السرد، في لحظة وجوده في مستشفى الجليل، في مخيم شاتيلا، وهو مصاب بـ"الكوما" مستلقٍ في ظلمات بعيدة.. في برزخ غير برزخنا. ثم يعود به الراوي من زمن السرد (أواخر العام ١٩٩٥) إلى بداياته، وخصوصا منذ زواجه بنهيلة عام ١٩٤٢، حين كان في الرابعة عشرة من عمره (أي انه مولود عام ١٩٢٨) وكانت هي في الثانية عشرة.

أما الحكاية الثانية، فهي حكاية الراوي نفسه، خليل ياسين أيوب، المرض الذي يرافق يونس ويعني بشؤونه. ويستغل "غيبوبته" ليسرد عليه/ علينا، لا حكاية يونس وحدها، بل حكايته هو أيضا. وليفتح هاتين الحكايتين على عشرات الحكايات الصغيرة التي تتطلق من حياة الفلسطينيين وواقعهم المأسوي في مخيمات لبنان، وتعود إلى قراهم في فلسطين، في بناء روائي يتكسر فيه الزمن صعودا من النكبة إلى زمن سلطة أوسلو، وهبوطا من هذا الزمن الحاضر إلى زمن المقاومة والحرب الأهلية (في لبنان)؛ وما قبل ذلك، أي زمن أيلول ١٩٧٠، ونكسة حزيران ١٩٦٧، والى زمن "المتسللين" الواقع بعد النكبة وقبل المقاومة.

يقسم المؤلف روايته إلى جزأين، الأول "مستشفى الجليل"، والثاني "موت نهيلة"! إلا أن هذا التقسيم لا يؤثر في تواصل الحكايات. كما أنه لا يستند إلى تقسيم زمني. فلو أردنا تقسيما زمنيا، لوجدنا أن ثمة أزمنة عدة، ربما كان أبرزها أربعة؛ زمن ما قبل النكبة ويتصل به وثيقا زمن النكبة، ثم زمن ما قبل المقاومة، وزمن المقاومة، فأخيرا زمن ما بعد المقاومة الذي يبدأ من حصار بيروت ١٩٨٢ وخروج الفدائيين منها وصولا إلى زمن أوسلو. إلا أن الرواية لا تعنى بهذا التقسيم. فالسرد يتقدم دون ما تسلسل زمني محدود، وان كان يتقدم في اتجاه نهايات الأشياء، حيث ينتهي يونس ميتا، وينتهي خليل مصابا بلوثة ومسكونا بشخوص الحكايات التي يسردها، بعد شهور قضاها إلى جانب يونس الغائب. ولكنه قضاها مهجوسا بقضية شمس التي أحبها وأحبته ثم قتلت بطريقة سماها "مذبحة شمس" التي أورثته الرعب والجنون، وتركت لنا أسئلة كبيرة.

في الرواية - إذن - جيلان، الجيل الذي يمثله يونس، والجيل الآخر الذي يمثله خليل. والرواية التي بدأت بموت أم حسن (نبيلة الخطيب، من الكويكبات أصلا) يوم ٢٠ تشرين ثان ١٩٨٥، انتهت بموت يونس بعدها بشهور. وكلاهما ينتمي إلى الجيل نفسه.

وأم حسن شخصية خرافية، تستشعر نكسة حزيران ١٩٦٧ وتبكي حين كان الناس يرقصون في الشوارع "استعدادا للعودة إلى فلسطين"، لأنها وحدها، تعرف أن "فلسطين لن تعود قبل أن نموت جميعا"، ولكنها ماتت وماتت يونس ولم ترجع فلسطين. فكم سيموت، إذن، لكي ترجع؟

أما يونس، فقد عاش زمنا تنقل فيه من الجهاد المقدس إلى "تأنيب الفداء العربي ثم حركة القوميين العرب قبل أن ينتهي في "فتح". وفي حين ان خليل يعتبر يونس "بطلا" ينبغي العمل على إنقاذه - في الوقت الذي يعتبره الدكتور أمجد ميتا - فإننا نبحث طوال الرواية عن عمل بطولي مارسه "البطل" - يونس- فلا نجده. وفي المقابل، نجد البطولة الحقيقية في ما تقوم به زوجته نهيلة، سواء في بقائها في فلسطين، أو في مواجهتها المستمرة مع سلطات الاحتلال ورفضها الاعتراف بأنها تلتقي زوجها، وحتى حين يواجهها المحقق "الإسرائيلي" من أصل مغربي بكونها حبلى، ترفض الاعتراف بوالد الجنين وتدعي انها "شرموطة" وحرة في أن تفعل ما تشاء.. لكي تحمي يونس. فأين هي بطولة يونس إذن؟ ربما كانت بطولته الوحيدة هي في التسلل من لبنان الى فلسطين، الى دير الأسد، لكي يزرع في رحم نهيلة أطفالا بلغ عددهم عشرة، وبلغ عدد أبنائهم خمسة عشر.

هل أراد الياس خوري أن ينبهنا إلى طبيعة العلاقة - الزواج بين الداخل (نهيلة) والخارج (يونس)؟ ربما، وربما يظل هذا سؤالا من أسئلة الرواية. ولعل قراءة شخصية شمس تقود إلى كشف رغبة الروائي في رسم شخصيات نسوية مناضلة ومغامرة في مقابل شخصيات رجال مسكونين بالذكورة ومهجوسين بالجنس. فالفدائي الذي أحبته شمس وتزوجته هو كتلة من الأمراض الذكورية، وأبو معروف لا يجد، وهو في الخندق، سوى قصة ليلة زواجه وتفاصيلها. وخليل نفسه لا يروي عن علاقته مع شمس سوى الجانب الجنسي ثم الرعب الذي أصابه بعد مقتلها وشعوره بأنه مطارد من أهلها، إلى الحد الذي يجعلنا نتساءل معه ما إذا كان وجوده في المستشفى رغبة في رعاية يونس أم اختفاء من أهل شمس! إلى أي حد - إذن - يمكن اعتبار المرأة في الرواية، ذات علاقة بالثورة أشد جذرية وأعمق من علاقة الرجل بالثورة؟ هذا هو السؤال الأول الذي يأخذنا الرواية إلى أبعاد إنسانية تتجاوز الشعارات والأفكار البراقة.

وهنا نتوقف لتتساءل ما إذا كنا أمام وقائع وحوادث حقيقية، أم أن الروائي يختار ما يلائم "روايته"/ رؤيته؟ والى أي حد يلتزم الروائي بالرواية الشفاهية التي جمع عناصرها من أفواه أصحاب الحكاية؟ والى أي حد نستطيع مطابقة الروائي أن يفصل بين ما هو واقعي/ حقيقي، وما هو روائي/متخيل، في عمل روائي ينهض، أساسا، على الرواية الشفاهية؟

عدا هذا المحور الذي يضع يونس/نهيلة، خليل/ شمس، تنطوي الرواية على حكايات كثيرة، وتأملات وأسئلة متعددة الموضوع والاتجاه.

من الحكايات الأساسية حكاية التهجير والتشريد بتلك الهمجية التي مارستها العصابات الصهيونية، وترتبط بها محاولات العودة التي كان أهل القرى يقومون بها فتحصدهم تلك الهمجية. وتتكشف عملية العودة وتتقلص إلى عمليات تسلل وسطو على الأملاك المتروكة؟ فيسطو الرجل على بيته ليسرق ما يستطيع حمله، أو يسطو على حقله ليحمل ما يساعد على قطع الطريق إلى "المنفى". أما عمليات المقاومة البدائية، وحتى الباسلة منها، فقد اصطدمت جميعها بصخور صلدة، منها الصهيوني، ومنها العربي سواء حمل اسم الجيوش العربية أو اسم جيش الإنقاذ، حتى ان بعض الضباط لم يكن له هم سوى السطو على دجاج القرويات، فنال لقب "مهدي الدجاج". ولم يكن صعبا معرفة دور الجيوش العربية حين أخذت تصادر أسلحة المقاومين بحجة أنها هي التي ستحمي القرية، ثم لا تلبث أن تنسحب منها ليدخلها الصهاينة (قصة "البروة" مثلا).

وحكاية القتل والتهجير واحتلال البيوت، تتضمن

حكاية الطريق إلى المنفى بكل ما فيها من تفاصيل بعضها صار، لكثرة ما رددته الكتابات أو الشفاهيات، يشبه الأسطورة (حكاية الأم التي حملت مخبأة وتركت طفلها مثلاً) وبعضها يكاد يكون غير مصدق، كما في حكاية الأم التي خنقت طفلها وهي تحاول إسكاته خوفاً من الكمين الخائف من اليهود.

وللمخيم، الذي يغدو "ضريح فلسطين" حكايته، ليس بما ينطوي عليه من هموم العيش ومكابدته وحسب، بل بما هو نقيض الوطن حيناً، ومفجر الثورة حيناً آخر. هنا، في المخيم، فرصة للتأمل في صورة الذات وصورة الوطن، خصوصاً حين تذهب أم حسن لزيارة بيتها في الكويكات وتجد فيه يهودية كانت تعيش في بيروت، في وادي أبو جميل. هنا نكتشف ما يعنيه الوطن لكل من المرأتين؛ أم حسن التي هجرت من بيتها وأرضها ولا ترى أجمل من فلسطين ولا أطيب من مائها، والبهودية ايلا دويك التي لا ترى في فلسطين سوى "هالارض الحفرا النفرا" وتروي كيف "جابولي لهون وأنا عمري ١٢ سنة"، بل انها تحسد أم حسن "انت ساكنة ببيروت وجايبي تبكي هون، أنا يلّي بدي أبكي". وتتمنى لو تعود إلى بيروت "ردي لي بيروت، وخدي كل هالارض المقطوعتا". فنكتشف انها مثل أم حسن، ولكن بصورة معكوسة، ضحية الصهيونية!

ومن التأملات الذكية التي يسعى بها المؤلف لبناء مفهوم الوطن روائياً، تلك اللقطة التي تصور الفضل المحمل بالبرتقال الذي عادت به جدة خليل من قريتها، وعلقه خليل كذكرى للوطن، كما أوصته جدته شاهينة، ولكن تعفن البرتقال يفجر حكمة عميقة ينطق بها يونس، فالوطن كي نأكله لا كي "نأكلنا". وفي مكان آخر نكتشف أن الوطن الذي "يستحق أن نموت من أجله، هو ما نريد أن نعيشه".

وفي المخيم، أو ما تبقى منه بعد اجتياح ومجازر ١٩٨٢، نكتشف جيلاً فلسطينياً جديداً يتمثل في "دنيا" التي جرى اقتصابها من الكتائبيين. وفي الفتى سليم أسعد الذي اختزع صيغة للشعر ليدبر معيشته ولو بالفهلوة. ومن حكايات المخيم والمجزرة نكتشف وجود يهوديات بين ضحايا صبرا وشاتيلا (بحسب رواية أمنون كابليوك في كتابه **النماخ الحديدي**) فيعلق خليل متسائلاً ما إذا كان اليهود "استكثروا علينا مذبحة، فأرادوا مقاسمتنا إياها عبر تسع نسوان يهوديات قتلن" (ص٤٢٣). وفي مناسبة حكاية اليهوديات اللواتي تزوجن عرباً في فلسطين أيام الانتداب البريطاني، وهاجرن معهم الى لبنان، تحضر حكاية "جمال الليبي" المقدسي الأصل الذي تزوج أبوه يهودية وهربا ليعيشا في غزة، ثم تفاصيل العلاقة بين جمال وخاله الضابط في جيش الاحتلال، وعلاقته بابنة خاله، ونهاية أمه في ألمانيا للعلاج حيث ماتت! وفي تشخيصه الحرب والأمهات،

نكتشف بعد توقف الحرب الأهلية اللبنانية، أن "الحرب الحقيقية تبدأ حين يصبح عدوك مرآتك، فتقتله كي تقتل نفسك، هذا هو التاريخ". والتاريخ هنا "أرعن لانه لا يحب المنتصرين، وبهزم الجميع". ولكن من دون أن يساوي (المؤلف) بين الجلاد والضحية. فهو لا يتورع عن وصف اليهود الأوائل بأنهم كانوا ضحايا النازية مثلما كانوا ضحايا الصهيونية. "أما اليهود الأوائل الذين ماتوا، فيشبهون أم حسن ونهيلة".

ثمة حكايات كثيرة لا يمكننا تلخيصها، ولهذا يبقى أن نشير الى مفاهيم تسعى الرواية الى صوغها وبلورتها؛ الوطن، التاريخ، الرواية، اللغة، الحياة والموت، الحنين، الغربة، وثمة طقوس اجتماعية وتقاليد وعادات، وأمثال شعبية، وأسماء أمكنة، وعناصر من الطبيعة، نباتات وأشجار.

ويبقى أن نقول ان أسئلة الرواية أكثر من أن تحصر، وربما كان سؤالها الأهم هو: كيف انتهى كل شيء الى ما انتهى اليه؟

وهل يمكن القول، مع خليل، انه علينا "الوصول إلى أعمق نقطة في الموت، كي نكتشف الحياة؟" وهل وصل الفلسطيني إلى هذه النقطة؟ ربما موت يونس/ الرمز يكشف عن نهاية ما، أو محطة ما. وربما كانت "جميعاً" التي قصدتها أم حسن في مطلع الرواية، تعني أجيالاً ولدت في الزمن الممتد من النكبة حتى وفاة أم حسن.

وتبقى الاشارة إلى دقة وأمانة مؤلف **باب الشمس** في استخدام اللهجة والكثير من الأسماء، كما هو جدير بالتنويه أسلوب السرد السلس والبسيط، ورغم التشابك في الروايات الذي يشبه أسلوب الرواية الشفوية في جوانب كثيرة. والى ذلك تمتلك لغة الكاتب جمالياتها الخاصة التي تجعله قادراً على تصوير الأحوال والمواقف في أقل قدر من الكلام والصور الباهرة.

وأخيراً، فان رواية **باب الشمس**، هي الرواية العربية الأولى التي "تسجل" وبقدر عال من الموضوعية، جوانب من التجربة الفلسطينية لم يسجلها الروائيون الفلسطينيون إياها حتى الآن. حيث لا نجد بين الروايات الفلسطينية رواية تبلغ ما بلغته رواية الياس خوري، سواء في ما يخص الزمن، أو عدد الحكايات وزخمها ودلالاتها.

عرض: عمر شبانة

اللجـــوء فـــي .. الداخـــل

اللاجئون الفلسطينيون
١٩٤٨ - ١٩٩٨ (تاريخ شفوي)
د. عادل حسين يحيى
المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي
مطبعة أبو غوش / البيرة ١٩٩٨
٢١١ صفحة

في محاولة لإعادة كتابة تاريخ اللاجئين الفلسطينيين بالاعتماد على رواياتهم الذاتية حول نكبتهم وظروف حياتهم من بدايات اللجوء حتى اليوم، صدر للدكتور عادل يحيى كتاب بعنوان **اللاجئون الفلسطينيون**. يعتمد الكتاب/ الدراسة التاريخ الشفوي منهجاً للبحث، بهدف تكوين سجل تاريخي يوثق أحداث اللجوء ويسد النقص في أرشيف التاريخ الفلسطيني، خصوصاً النقص في وجهة نظر اللاجئين أنفسهم.

ينقسم الكتاب إلى فصول قصيرة عدة تتناول تعريفات للاجئين عموماً واللاجئ الفلسطيني خصوصاً، أسباب هجرة الفلسطينيين؛ من المسؤول عن اللجوء، محنة اللجوء، مظاهر تعلّق اللاجئين بأوطانهم؛ دور وكالة غوث اللاجئين (الأونروا) في تقديم المساعدة إليهم، أوضاع اللاجئين الحالية. ثم يستعرض الباحث المفاوضات حول قضية اللاجئين وأثر انفتاق أوسلو وقدوم السلطة الفلسطينية عليهم، وصولاً إلى الحلول المطروحة لقضيتهم.

"الدنيا بتتغيّر بس إحنا اللاجئين ما بتتغيّر"

حول الوضع الحالي للاجئين في الداخل، يفرّق الباحث بين معاناة اللاجئين المادية ومعاناتهم المعنوية. ذلك لأن قسماً كبيراً من اللاجئين عبر عن شعور قوي بعدم الاستقرار والقلق حتى لو امتلك بيوتاً وأراضي وعملاً.

إذ بالاضافة إلى أشكال المعاناة الكثيرة التي تعرّض لها اللاجئون، هناك ظاهرة من نوع آخر تؤثر سلباً في حياتهم، ربما أكثر من غيرها من صور المعاناة، وهي ظاهرة التمييز بين مواطن ولاجئ من قبل إخوانهم الفلسطينيين، وهي الظاهرة الأكثر شيوعاً مما يعتقد أو يستعد الكثير من الفلسطينيين للاعتراف به. فكل الرواة الذين أدلوا بشهاداتهم اعترفوا بأنهم واجهوا نوعاً من التمييز في فترة أو أخرى من فترات حياتهم. بيد أن التمييز الذي عاناه سكان المخيمات لم يكن بقدر التمييز الذي عاناه إخوانهم الذين لجأوا إلى مدن وقرى الضفة الغربية. ولقد فسر بعض اللاجئين التمييز ضدهم بأنه ناجم عن جهل السكان المحليين الذين اتهموهم بالفرار من بلادهم من دون قتال وبأنهم باعوا أراضيهم لليهود، وهي الاتهامات التي تدل - بحسب ما يقول اللاجئون- عن جهل بحقيقة الأمور. بينما اعترف آخرون بأن المشكلة فيهم هم وليست في السكان الأصليين، لأنهم يحسنون بالنقص سواء عيّرهم الآخرون ذلك أم لا. هذا في الوقت الذي اعترف فيه اللاجئون الأكبر سناً بأن وضع أهالي الضفة والقطاع عندما قدم اللاجئون لهاتين المنطقتين لم يكن أفضل كثيراً من وضع اللاجئين، وبالتالي لم يكن يسمح لهم باستقبال أعداد ضخمة من الناس تزيد على عدد السكان الأصليين.

٣٠٥ من اللاجئين من وجدوا في حياة اللجوء شيئاً يعوّضهم كالتعليم أو امتلاك أرض أو عمل، بينما ٨٣,٧ أجابوا بأنهم حاولوا التعويض عن خسارتهم، ولكن المحاولة كانت شاقة وغير مجزية.

وما زال التمييز الذي تعرّض له اللاجئون في الماضي محفوراً في ذاكرتهم ولن كان أكثر حدة في الماضي ممّا هو عليه اليوم. غير أن هذا الاحساس بالنقص وهذه المعاناة هما اللذان أبقيا صلة هؤلاء اللاجئين بأرضهم وبلداتهم الأصلية لأكثر من نصف قرن. ولعلّ تعلّق اللاجئين بحلم العودة هو الذي مكّنهم من التعايش مع هاجس مخيف يلاحقهم طول هذه المدة، هاجس الرحيل المتجدد.

عرض: سهير الازم

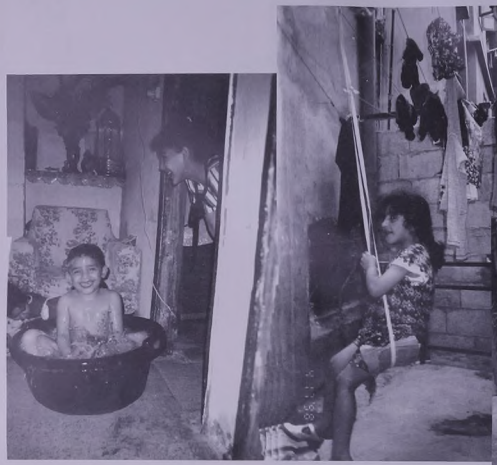

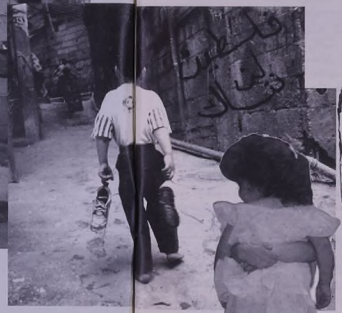

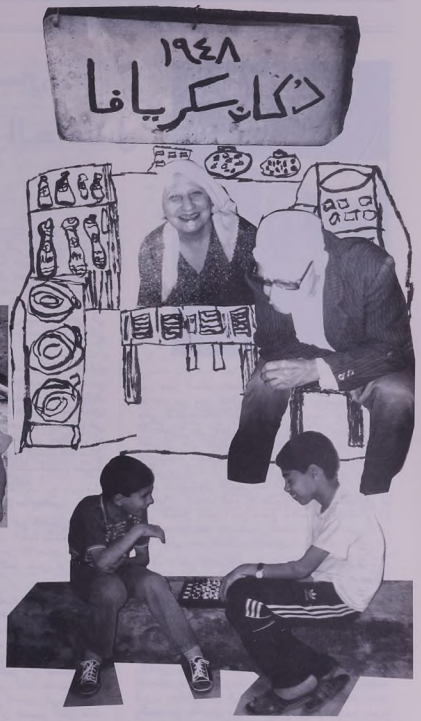

اطفال حاتيلا يستبدلون البانيو بالطشط

J
018

AL – JANA

Records of the Oral Culture and History of the Palestinian People

Published by
The Arab Resource Center For Popular Arts

UNIVERSITY OF EXETER
INSTITUTE OF ARAB AND ISLAMIC STUDIES
3 APR 2000

No: 7 October 1999

In This Issue:

File: Cultural life in Palestine before the Uprooting.

Interviews
Memories of Jaffa: An interview with the poet Mahmoud el-Hout.

Establishing a Palestinian film archive: Dialogue with filmmaker Qais al-Zubaydi.

Researching the memory of space: An interview with Dr. Mahmoud 'Issa

From our archives: Oral testimonies and songs from 1948 Palestine.

Article: Oral history is an activist project: "Concrete details" and the "human factor".

The young journalists' exhibition

Book Reviews:

Bab al-Shams, a novel by Elias Khoury.

Being an Internal Refugee: Palestinian Refugees 1948-1998
by Dr. Adel Hussayn Yahya

قسيمة اشتراك

مركز المعلومات
العربي للفنون الشعبية

Arab Resource Center
For Popular Arts

Tel: (01) 819970 - Cell: (03) 839917
Fax: (009611) 819970 - 602914 - 645106, E-mail: arcpa@sun.cyberia.net.lb
P.O.Box: 113/5719 Beirut, Lebanon

١ ـ بالامكان دفع قيمة الاشتراك نقداً أو تحويله مباشرة الى البنك العربي ـ فرع المزرعة ـ لبنان على الحساب رقم: ٣ ـ ٨١٠ / ٦١٢٨٧٩ / ٠٣٣٠

٢ ـ بالامكان اهداء الاشتراك لمن ترغبون مع اشعارنا بذلك.

قسيمة اشتراك تشجيعي في نشرة « الجنى »

رغبة مني / منا في دعم نشاطات مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية أود أن أشترك في نشرة «الجنى» اشتراكاً سنوياً تشجيعياً قيمته.

☐ ٢٥ دولارا اميركيا
☐ ٥٠ دولارا اميركيا
☐ ١٠٠ دولارا اميركيا
☐ ١٥٠ دولارا اميركيا
☐ ٢٠٠ دولارا اميركيا
☐ ٢٥٠ دولارا اميركيا وما فوق

الاسم : .....

العنوان : .....

التاريخ : .....

وتجدون ربطا شيكا بقيمة .....
مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية

صادر باسم